روايات مصرية للجيب

الكتاب التاسع عشر

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

ضيف النجوم

وقصص أخرى

د. نبيل فاروق

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكيـــل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـــارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليـوم

د. نبيل فاروق

قصـــة قصيرة

كنت هناك

ارتفعت استعدادات الأمن إلى الدرجة القصوى ، فى قاعدة الفضاء الأمريكية (كيب كيندى) ، وراح طاقم المراقبة يتابع فى اهتمام بالغ شاشات الرصد ، وبيانات أجهزة الكمبيوتر وتحليل المعلومات ، تمهيدًا لإطلاق مكوك الفضاء الجديد ، فى أوّل رحلة تحمل رواد فضاء إلى كوكب المريخ ، وفرك قائد القاعدة كفيه فى انفعال ، وهو يراقب ما يحدث حوله ، قائلًا لمساعده الأوّل :

ـ لدى شعور بأننا نحيا لحظة تاريخية عظيمة .. كم تمنينا أن نرسل روادنا إلى كوكب المريخ ، بعد أن جمعنا كل المعلومات اللازمة عنه ، من خلال سفن الفضاء ، التى يتم توجيهها عن بعد .

ابتسم المساعد ، وهو يؤمن على حديثه ، قائلًا :

ـ لقد أصبحنا نعرفه عن ظهر قلب ، وأجهزة الكمبيوتر صنعت

صورة وهمية لسطحه ، ثم تدريب الرواد عليها ، بحيث سيهبطون على سطحه ، ويجوبون منطقة الهبوط كلها ، دون أن يشعروا بالغربة .

أومأ القائد برأسه ، وغمغم :

ـ هذا صحيح .. هذا صحيح .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يتابع فى لهجة تحمل الكثير من الزهو :

ـ إنها الخطوة الأولى فى مشروع هائل ، سيحتاج منا إلى عمل مستمر ، لعشر سنوات على الأقل .. خيال الأدباء سيتحوّل إلى حقيقة ملموسة ، عندما نقيم أوّل منتجع سياحى على سطح المريخ .

هزّ المساعد كتفيه ، وقال :

ـ مازلت أعتقد أن هذا المشروع يفتقر كثيرًا إلى الجدوى الاقتصادية ، فمن ذا الذى يمكنه أن يدفع مليونى دولار ، مقابل ثلاثة أسابيع على سطح المريخ ؟

قهقه القائد ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ أراهنك أنك ستجد المئات من البلهاء ، الذين لا يترددون فى دفع ضعف المبلغ ، ليزهوا بأنهم أوّل مدنيين ينطلقون إلى الفضاء ، وما إن نبدأ فى الإعلان عن الأمر ، حتى يتم حجز كل الأماكن لستة أشهر تالية على الأقل .

مطّ المساعد شفتيه مرة أخرى ، وقال :

ـ سنرى .

لم يكد ينطق كلمته ، حتى بدأ العد التنازلى النهائى للإقلاع ، فتألقت عينا القائد ، وهو يقول :

ـ استعد يا رجل .. نصف الساعة فحسب ، وتبدأ أعظم الرحلات الفضائية ، فى تاريخ كوكب الأرض .

ارتفعت دقات على باب مكتبه ، فى هذه اللحظة ، ثم دلف إليه أحد رجال الأمن ، وهو يقول للقائد :

ـ معذرة يا سيّدى ، ولكن هناك أمر عاجل ، يحتاج إلى رأيك شخصيًا .

أطلّ القلق من عينى القائد وصوته ، وهو يسأله :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه رجل الأمن :

ـ رجل يصرّ على مقابلتك ، ويؤكّد أن هذه المقابلة لها أهميتها القصوى ، وأنها تتعلّق بنجاح رحلة المكوك .

انعقد حاجبا القائد ، وتبادل نظرة متوترة مع مساعده ، قبل أن يسأل رجل الأمن :

ـ وكيف يبدو هذا الرجل ؟

هزّ رجل الأمن رأسه ، وهو يجيب :

ـ الواقع أن شكله وهيئته لا يوحيان أبدًا بأنه يحمل ما يمكن أن يفيد ، ولكن الأسلوب الذى يتحدّث به ، يؤكّد أنه يؤمن تمامًا بما يقول .

انعقد حاجبا القائد أكثر ، ثم التفت إلى مساعده ، وسأله :

ـ ما رأيك ؟

أجابه المساعد فى رصانة :

ـ دعنا نستمع إليه .. إننا لن نخسر شيئًا .

ثم وجّه حديثه إلى رجل الأمن ، مستطردًا :

ـ فتشه جيدًا ، وتأكّد من أنه لا يحمل سلاحًا ، ثم أرسله مع رجلين من رجال الأمن ، ودعهما يحضران المقابلة كلها ، ويستعدان للتدخل مباشرة ، إذا ما بدرت منه بادرة ما .

لم يفارق القلق وجه القائد ، حتى حضر رجلا الأمن ، وهما يقودان أمامهما رجلًا أشيب الشعر ، أشعثه ، توحى ملامحه بأن عمره يحوم حول الستينات ، ولكن لحيته النامية بشعيراتها البيضاء ، وحلته الرثة ، منحاه عمرًا يفوق هذا بعشر سنوات على الأقل ..

وفى شىء من الازدراء ، سأله القائد :

ـ من أنت يا رجل ؟

رفع الشيخ عينيه إليه ، ومض الذكاء فيهما فى وضوح ، وهو يجيب :

ـ اسمى (حسن عبد الجليل) .

انعقد حاجبا القائد فى توتر ، وهو يقول :

ـ أى اسم هذا ؟.. من أين أنت يا رجل ؟

أجابه الشيخ فى هدوء ، يحمل رنة اعتزاز واضحة :

ـ أنا مصرى .

وعلى العكس تمامًا ، فقد هتف القائد فى استهجان عجيب :!

ـ مصرى ؟!

وقلب شفتيه ، وهو يتفحّص الرجل مرة أخرى ، قبل أن يجلس خلف مكتبه ، ويسأله فى استخفاف واضح :

ـ ولماذا تصرّ على مقابلتى أيها المصرى ؟

بدا الاهتمام فجأة على الشيخ ، وهو يقول :

ـ كان من الضرورى أن ألتقى بك لأحذرك .

رفع القائد حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ تحذّرنى ؟!

اندفع الشيخ يقول :

ـ بالتأكيد .. لقد اخترتم أسوأ نقطة للهبوط ، على سطح المريخ .. لابد لكم من تعديل خط سير الرحلة ؛ للهبوط فى بقعة أخرى .

ثم أشار نحو خريطة كوكب المريخ ، التى تحتل جزءًا من الجدار ، مستطردًا :

ـ كهذه مثلًا .

تطلّع كل الموجودين فى الحجرة إلى الخريطة ، ثم غمغم المساعد :

ـ إنها منطقة لا بأس بها للهبوط ، ولكن المنطقة التى وقع اختيارنا عليها ممتازة .

رمقه القائد بنظرة مستهجنة ، وكأنما يستنكر مجرّد محاولة مناقشة ذلك الشيخ المصرى ، ثم أشعل سيجارة ، ونفث دخانها فى هدوء ، وهو يقول :

ـ نشكرك كثيرًا على هذه المعلومة أيها المصرى .. سنضعها فى الاعتبار ، فى الرحلات القادمة .

سرى التوتر فى ملامح الشيخ ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك لم تفهمنى .. هذه البقعة بالذات لا تصلح لهبوط المكوك على سطح المريخ ، ولو حاول الهبوط عليها ستكون كارثة .

ابتسم القائد فى سخرية ، وقال :

ـ حقًا ؟!

التقط الشيخ نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى توتر بالغ :

ـ اسمعنى جيدًا ، وحاول أن تفهم ما أقول .. صحيح أن سطح المريخ يبدو صلبًا وقويًا ، والكوكب نفسه أشبه بصحراء جرداء ، ولكنه لم يكن كذلك فى الماضى .. لقد كان نسخة من كوكب (الأرض) الحالى ، ولكنه واجه الكارثة نفسها .. كارثة ضعف غلافه الجوى .. تمامًا كما يفعل بنا ثقب الأوزون الآن ، ولقد تجاهل سكان المريخ هذا فى البداية ، ولم يولوه الاهتمام المناسب .

اتسعت ابتسامة القائد الساخرة ، وتطلّع إلى مساعده ، وهو يقول للشيخ متهكمًا :

ـ وسكان المريخ هؤلاء خضر البشرة بالطبع ، ولهم هوائى على رءوسهم .. أليس كذلك ؟

لوّح الشيخ بسبّابته فى وجهه ، وهو يقول :

ـ لا تسخر منى يا رجل .. استمع إلىّ جيدًا .. إننى أحاول منع حدوث كارثة .

كاد القائد ينفجر ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ من ذا الذى يسخر منك يا رجل .. هيا .. أكمل .. كلنا آذان صاغية .

التقط الشيخ نفسًا عميقًا ، وازدرد لعابه فى صعوبة واضحة ، جعلت المساعد يسرع بإعطائه قدحًا من الماء ، جرعه الشيخ على دفعتين ، وأعاد القدح إلى المساعد ، وهو يكمل مباشرة :

ـ ولكن المشكلة تفاقمت ، ولم يعد المناخ صالحًا للعيش على سطح الكوكب ، فصنع من تبقوا مدينة تحت سطح المريخ ، وعاشوا فيها ، وجعلوا لها قبة من مادة أشبه بالزجاج ، ليروا منها الشمس والسماء .

هتف القائد ساخرًا :

ـ رائع .. سأنقل هذه الفكرة حتمًا إلى (سبيلبيرج) .. هيا .. أكمل يا رجل.. أكمل .

تابع الشيخ ، وكأنه لم ينتبه إلى السخرية فى لهجة القائد :

ـ ولكن حتى هذا لم يفلح فى الإبقاء عليهم ، فبدءوا يتساقطون ، واحدًا بعد الآخر ، وفى النهاية استقل الباقون على قيد الحياة الصاروخ الوحيد المتبقى ، وغادروا الكوكب ، واتجهوا إلى الأرض ، وعاشوا فيها ما تبقى لهم من العمر ، وتناسلوا ، وأنجبوا جيلًا جديدًا ، يجهل معظمه حقيقة أجداده ، ويحيا باعتباره من أهل الأرض ..

صفّق القائد بكفيه ، وقال :

ـ رائع .. رائع .. أشكرك كثيرًا على هذه الرواية الممتعة يا رجل .

ثم مال نحوه بغتة ، مستطردًا فى خبث ساخر :

ـ ولكن ما علاقة هذا برحلة مكوكنا الجديد ؟ .

أجابه الشيخ فى انفعال :

ـ ألم تفهم بعد يا رجل ؟.. تلك البقعة التى وقع اختياركم عليها ، لهبوط المكوك الجديد ، هى تلك القبة الزجاجية للمدينة المريخية .. صحيح أن الرمال والحصى قد أخفياها ، مع مرور السنين ، ولكنها ما زالت مجرّد قبة زجاجية ، لن يمكنها احتمال الهبوط قط .. حاول أن تفهم يا رجل .. إنك ستتسبّب فى كارثة شنيعة .

لوّح القائد بذراعيه ، وقال فى أسف ساخر :

ـ لقد فهمت يا رجل ، ولكن ماذا أفعل ؟.. العد التنازلى يقترب من الصفر ، وسينطلق المكوك بعد لحظات .

شحب وجه الشيخ ، واتسعت عيناه فى هلع ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا .. مستحيل !

ثم انقضّ على القائد فى ثورة ، صارخًا :

ـ لابد أن تمنع قيام هذه الرحلة .. لابد .. لابد .

صرخ القائد :

ـ أوقفوا هذا المجنون .

اندفع رجلا الأمن نحو الشيخ ، وحاولا الإمساك به ، ولكنه ركل أحدهم ركلة قوية للغاية ، لا تتناسب مع ضآلته ونحوله ، ثم لكم الثانى لكمة أشد قوة ، وعاد يصرخ فى القائد :

ـ أوقف الرحلة .. افعل شيئًا .

وهنا انتزع أحد الرجلين مسدسه ، وأطلق النار على ظهر الشيخ .. واتسعت عينا الشيخ فى ألم واستنكار ، وهتف :

ـ أنتم المسئولون .. أنتم السبب فى الكارثة .

وسقط على وجهه فوق المكتب ، والدماء تنزف من ظهره فى غزارة ، فهتف المساعد :

ـ هل .. هل لقى مصرعه ؟

أسرع رجلا الأمن يفحصانه ، ثم قال أحدهم ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ليطلب سيارة إسعاف :

ـ كلّا .. إنه مازال على قيد الحياة .

وفى نفس الوقت الذى علا فيه صوت بوق سيارة الإسعاف المميّز ، كان مكوك الفضاء الجديد ينطلق فى رحلته الأولى نحو الكوكب الأحمر .. المريخ ..

★ ★ ★

أربعة وعشرون يومًا مضت بالتحديد ، على تلك الواقعة ، عندما اندفع قائد قاعدة الفضاء (كيب كيندى) ومساعده ، إلى المستشفى المركزى ، وهتف الأوّل فى لهفة :

ـ أين هو ؟

رفعت الممرضة السوداء عينيها إليهما فى دهشة ، وسألت :

ـ هو من ؟

لوّح القائد بذراعيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ ذلك المصرى ، الذى أصيب برصاصة فى ظهره ، منذ أربعة وعشرين يومًا .. أين هو ؟

راجعت السجلات المدوّنة على جهاز الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن تسأل :

ـ أتقصد (حسن عبدالجليل) ؟

أجابها فى لهفة :

ـ نعم .. هذا اسمه .. أين هو ؟

سألته فى صرامة :

ـ أأنت أحد أقاربه ؟

أجابها فى حدة :

ـ كلّا ، ولكننى أريد مقابلته على الفور .. إنه أمر يتعلّق بالحكومة .

أشارت إلى نهاية الممر ، وهى تقول :

ـ لابد أن تحصل على تصريح خاص من الدكتور (ألبرت) .

اندفع الرجلان نحو الدكتور (ألبرت) ، وقدّما له مطلبهما ، فبدا عليه التردّد ، وهو يقول :

ـ الواقع أن صحة هذا المريض تتدهور باستمرار ، والعقاقير التي نحقنه بها لا تفلح فى علاجه ، ولست أدرى ما إذا كان من الممكن أن أسمح لكما بزيارته ، و ...

قاطعه المساعد فى صرامة :

ـ من المحتم أن نلتقى به ، والرئيس نفسه طلب هذا .

شحب وجه الطبيب ، وهو يشير إلى حجرة الشيخ ، مغمغمًا :

ـ فى هذه الحالة ..

لم ينتظرا لسماع قوله ، وإنما اندفعا إلى حجرة الشيخ ، الذى بدا أشد وهنًا ونحولًا ، وهو يرقد فى فراش المرض ، وعشرات الأسلاك والخراطيم تتصل بجسده ، مع عشرات الشاشات والمؤشرات التى تحيط به ..

وعلى الرغم من كل هذا ، دفع القائد الرجل بيده فى توتر ، وهو يقول :

ـ استيقظ أيها المصرى .. نريد أن نتحدَّث إليك .

فتح الشيخ عينيه فى صعوبة ، وتطلَّع إلى القائد ، الذى سأله فى عصبية :

ـ كيف عرفت كل هذا ؟

بدا تساؤل واضح فى عينى الشيخ ، فقال المساعد ، محاولًا تهدئة الموقف :

ـ الواقع أننا مبهورون للغاية بما حدث .. لقد وصل مكوك الفضاء الجديد بالفعل إلى المريخ ، وعندما هبط فى البقعة المحددة ، انهارت تحته تمامًا ، وهوى فى قلب مدينة قديمة ، وانفجر داخلها ، ولكن

مركبة فضائية آلية قديمة صوَّرت كل ما حدث .. لقد كانت قبة زجاجية بالفعل ، وداخلها بقايا مدينة مريخية قديمة .

بدا الحزن على وجه الشيخ ، فى حين هتف القائد :

ـ كل شىء كان كما وصفته تمامًا .. كيف عرفت هذا ؟.. أأنت قارئ للغيب .

هزَّ الشيخ رأسه نفيًا فى صعوبة ، فصاح القائد فى حدة :

ـ كيف عرفت هذا إذن ؟

تمتم الشيخ بكلمات غير مفهومة ، فقال المساعد فى اهتمام :

ـ ماذا تقول ؟

ازدرد الشيخ لعابه ، وبدا من الواضح أنه يستنفر كل ذرة من الطاقة فى جسده ، ليقول :

ـ كنت هناك .

اتسعت عينا القائد فى ذهول ، وهو يردِّد :

ـ كنت ماذا ؟

ولكن رأس الشيخ انهار على وسادته ، وخبا بريق الحياة تمامًا من عينيه ، اللتين تحجَّرتا على نحو مخيف ، فصاح المساعد :

ـ انقذوه .. إنه لم يخبرنا ما لديه بعد .

أسرع فريق من الأطباء إلى حجرة الشيخ ، وراحوا يبذلون قصارى جهدهم لإسعافه ، ومحاولة إنعاش قلبه المنهك ..

ولكن هيهات ..

لقد لفظ الشيخ أنفاسه الأخيرة ، وترك خلفه لغزًا رهيبًا .. لغزًا بلا حل .

★ ★ ★

اختبر معلوماتك

فى هذا الكتاب أيضًا نلتقى ..
ويستمر السباق ..
ومرة أخرى نطرح عليك مجموعة من الأسئلة ، مع معلومة صغيرة ، والمطلوب منك أن تقرأ المعلومة ، ثم تجيب عن السؤال ..
وحاول أن تستفيد من الجانبين ..
من المعلومة ، ومن السؤال ..
وبعد أن تضع كل الحلول ، وتنتهى من كل المعلومات ، اطرح على نفسك سؤالنا التقليدى :
هل أنت مثقف ؟!

★ ★ ★

١ ـ لغوى اشتهر بشروحه للنصوص القديمة وتنقيحها ، مثل شرح (القصائد العشر) ، و (المفضليات) ، و (شعر المتنبى) ، و (مقاتل الفرسان) ، ولد عام ١٠٣٠ م ، ومات فى (بغداد) عام ١١٠٩ م ، وهو :

☐ ابن منظور . ☐ التبريزى . ☐ سيبويه .

٢ ـ آلة بصرية ، تُستخدم فى تكبير صور المرئيات ، وتعتمد على العدسات المحدَّبة الوجهين ، بحيث يوضع الجسم على بُعد أقل من بُعدها البؤرى ، فترى العين له من خلالها ، صورة تقديرية مكبَّرة معتدلة ، وهى تتكوَّن عادة من عدستين ، يُطلق على إحداهما اسم الشيئية ، والأخرى اسم العينية ، تصل بينهما أنبوبة مفتوحة الطرفين ، وهذه الآلة هى :

☐ التليسكوب . ☐ البيروسكوب . ☐ الميكروسكوب .

٣ ـ موسيقى إيطالى ، تعلَّم العزف على الكمان فى طفولته المبكِّرة ، وكان يذهل الناس بمهارته الخارقة فى الأداء ، وله عدة مؤلفات على الكمان ، والكمان والجيتار ، كما كان عازفًا ماهرًا على الجيتار والفيولا ، وتتسم موسيقاه بالصعوبة البالغة فى الأداء .

☐ باجانينى . ☐ موزار . ☐ بيتهوفن .

٤ ـ حيوان ثديى ليلى ، رجلاه الأماميتان أطول من الخلفيتين ، يتغذى بالجيف ، وتعيش منه أنواع مخطَّطة فى (إيران) و (الهند) ، وشمال (إفريقيا) ، أما الأنواع الغبراء ، فتعيش فى جنوب (إفريقيا) ، ولهذا الحيوان صيحة عالية ، وتوجد منه بعض الأنواع فى (مصر) ، وهو :

☐ الذئب . ☐ الضبع . ☐ الثعلب .

٥ ـ سلسلة جبلية شمال (اليونان) ، قرب ساحل بحر (إيجه) ، بها أعلى قمم اليونان ، حيث يبلغ ارتفاعها حوالى ٣١٩٠ مترًا ، وكانت لها شهرة واسعة فى الأساطير اليونانية القديمة ، ويُطلق عليها اسم :

☐ افرست . ☐ التبت . ☐ أوليمبوس .

٦ ـ واحد من مؤسسى النهضة المصرية الحديثة ، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح فى العالم الإسلامى ، درس فى (الأزهر) ، وتأثر بـ (جمال الدين الأفغانى) ، ورأس تحرير جريدة (الوقائع المصرية) ، واشترك فى الثورة العرابية ، فحوكم ونفى ، وبعدها عاد إلى (مصر) ، وعُيّن مفتيًا للديار المصرية ، وهو :

☐ محمد عبده . ☐ محمد رشيدرضا . ☐ محمد على .

٧ ـ اسم أعجمى معرَّب لآلة حربية ، تستخدم الأحجار وتقذفها ، استخدمت فى حروب الحصار ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، وحتى القرن الخامس عشر ، وخاصة فى العصور الوسطى ، ولقد بطل استخدامها بعد اختراع البارود والمدافع ، ويمكن أن تستخدم فى إلقاء النيران والسهام وقدور الحشرات ، وهذه الآلة هى :

☐ المدفع . ☐ القوس والسهم . ☐ المنجنيق .

٨ ـ عملية تجرى لتحويل الفلزات أو خاماتها ، إلى الحالة السائلة ، لاستخلاصها من الشوائب ، أو خلطها مع فلزات وخامات أخرى بنسب معينة ، لتكوين سبائك أو صبّها فى قوالب ، لتكوين مشغولات معينة ، ويكون هذا مصحوبًا ـ فى العادة ـ بتغيير كيميائى ، ويُطلق على هذه العملية اسم :

☐ التبخير . ☐ الصهر . ☐ التسخين .

٩ ـ كاتب روسى ، كان من أنصار الحركة المستقبلية ، ولكن موهبته تتجاوز لغة التصنيف بكثير ، وأوّل وأشهر رواياته (دكتور زيفاجو) ، التى لقيت نقدًا شديدًا وعنيفًا عند نشرها ، وهى

ملحمة عظيمة عن فترة الثورة السوفيتية ، ونال عنها جائزة (نوبل) للأدب ، عام ١٩٥٨ م ، وهذا الكاتب هو :

☐ بوريس باسترناك . ☐ فلاديمير نابكوف .

☐ إسحاق عظيموف .

١٠ ـ عنصر فلزى ، سهل الطرق والسحب ، موصّل جيد للكهرباء ، ولكن ليس له نشاط كيميائى ، وتزداد صلابته عند صنع سبائك منه مع فلزات أخرى ، وهو المعدن المفضّل للتغطية الاقتصادية النقدية ، ومن أكثر مناطق إنتاجه (روسيا) و (أمريكا) و (كندا) ، وجنوب (إفريقيا) ، وهو :

☐ الفضة . ☐ البلاتين . ☐ الذهب .

١١ ـ بحر صغير ، طوله ٦٤٤ كم ، وعرضه ٣٢٢ كيلومترًا ، ويعتبر ذراعًا من البحر المتوسّط ، بين (اليونان) و (آسيا الصغرى) ، ويربطه (الدردنيل) ببحر (مرمرة) ، وبه الكثير من الجزر الصغيرة ، واسمه :

☐ قزوين . ☐ إيجه . ☐ الأسود .

١٢ ـ رواية خيالية ساخرة ، ألّفها (جوناثان سويفت) ، ليسخر فيها من غرور الجنس البشرى ، وهى تصف رحلات بطلها فى بلاد الأقزام وبلاد العمالقة ، ولقد نجحت عند الكبار ، لما تحويه من نقد سياسى ساخر ، ونجحت لدى الصغار ، لما تضمه من تشويق ومغامرات ، واسم هذه الرواية هو :

☐ (أليس) فى بلاد العجائب . ☐ الأميرة النائمة .

☐ رحلات (جاليفر) .

١٣ ـ كاتب عربى يجيد الفرنسية ، وُلد ومات فى (القاهرة) ، وعمل بالقضاء مدة بعد دراسته فى (الأزهر) ، ثم بالمجمع اللغوى ، وله أسلوب خاص فى الكتابة ، يزخر بالدعابات الساخرة المنمقة ، وله كتاب يجمع هذه المقالات اسمه (فى المرآة) ، إلى جانب كتابين آخرين : (المختار) ، و (قطوف) ، وهذا الكاتب هو :

☐ عبد العزيز البشرى . ☐ مصطفى لطفى المنفلوطى .
☐ عباس محمود العقاد .

١٤ ـ علم تحديد النقاط المختلفة على سطح الأرض ، وارتفاع بعضها بالنسبة للبعض ، أو بالنسبة لمستو ثابت ، ويتم استخدامه لغرضين ، إما لرسم الخرائط ، وتحديد المواقع والحدود ، أو فى المشروعات الهندسية والأغراض الحربية ، وهذا العلم هو :

☐ الجيولوجيا . ☐ الهندسة المدنية . ☐ المساحة .

١٥ ـ جرح بطىء الالتئام ، يصيب الجلد أو الأغشية المخاطية ، وأسبابه كثيرة ، أهمها قصور الدورة الدموية ، أو الالتهابات والسموم ، أو عدم القدرة على سرعة تعويض الخلايا السطحية ، التى تتآكل باستمرار ، وأيضًا عن النقص الدائم لفيتامين ب ١٢ ، ويُطلق على هذا الجرح اسم :

☐ الالتهاب . ☐ القرحة . ☐ الحساسية .

١٦ ـ كاتب مسرحى أمريكى ، بدأ بكتابة مسرحيات قصيرة ، ولاقت كتاباته نجاحًا باهرًا ، حتى أنه فاز بجائزة (بوليتزر) ثلاث مرات ، ومسرحياته كلها من نوع المأساة ، تأثر فيها بالرمزية

والأساطير القديمة ونظرية (فرويد) ، ونال جائزة (نوبل) للأدب ، عام ١٩٣٦ م ، وهو :

☐ آرثر كلارك . ☐ يوجين أونيل . ☐ آرثر ميلر .

١٧ ـ نبات عشبى حولى ، اسمه العلمى (فيسيا فابا) ، من الفصيلة القرنية ، موطنه الأصلى جنوب غرب (آسيا) ، ويوجد منه ما يقرب من خمسين نوعًا ، وهو يستخدم للإنسان والحيوان ، ويؤكل كنبات أخضر ، أو يتم طهيه بوسائل خاصة ، وهو يحوى كمية لا بأس بها من البروتينات ، تجعله واحدًا من أفضل الأطعمة الشعبية ، وهو :

☐ الفول . ☐ البلح . ☐ الجرجير .

١٨ ـ فيلسوف وطبيب عربى أندلسى ، اشتغل حاجبًا لدى حاكم (غرناطة) ، ثم وزيرًا أو طبيبًا لأمير الموحدين فى (مراكش) ، وترتبط شهرته برسالته ، التى يعرض فيها بوسيلة قصصية فلسفية ، حياة متوحد عاش فى جزيرة نائية ، والرسالة تحمل اسم (حى بن يقظان) ، وفلسفته ذات طابع ذوقى ، أكثر منها عقلانية ، وهذا الفيلسوف هو :

☐ ابن النفيس . ☐ ابن الطفيل . ☐ ابن حباجة .

١٩ ـ عاصمة جزيرة صقلية ، وأكبر مدنها وموانيها فى (إيطاليا) ، وهى سهل خصب على الساحل الشمالى الشرقى ، حكمها العرب من عام ٨٣١ م ، وحتى عام ١٠٧٣ م ، وازدهرت ثقافيًا واقتصاديًا تحت حكمهم ، وطرز العمارة فيها تعكس التأثير البيزنطى ، والعربى والنورماندى ، وهذه العاصمة هى :

☐ مالطا . ☐ رودس . ☐ بالرمو .

٢٠ ـ علم يدرس أصل النوع الإنسانى ، وكل الظواهر المتعلقة به ، كما يدرس الثقافة ، وينقسم إلى فرعين ، فرع يختص بالدراسات الطبيعية ، وآخر بالدراسات الثقافية ، وهو يتناول بشقيه المشكلات الخاصة بالتطور الإنسانى ، ودراسة الأجناس البشرية ، واسمه هو :

☐ الفارماكولوجيا . ☐ الباثولوجيا . ☐ الانثروبولوجيا .

★ ★ ★

هل انتهيت من حل جميع الأسئلة ؟!..

هل قرأت كل المعلومات ؟!..

ينبغى أن تدرك ـ أوّلا ـ أن الغرض الرئيسى من هذا الباب هو أن تقرأ المعلومة ، وتزيد بها معارفك ..

أما الغرض الثانى ، فهو أن تجيب لنفسك عن سؤالنا التقليدى ..

هل أنت مثقّف ؟!..

ارجع إلى الحلول فى آخر الكتاب ، وقارنها بالحلول التى وضعتها أنت ، وستعرف جواب السؤال على الفور ، فإما أن تزهو بثقافتك ..

أو ...

أو تلتقى معنا فى اختبار آخر ..

وكتاب آخر .

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

عملية صقر

الجزء الرابع والأخير

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملخص ما سبق نشره

أسندت القيادة المصرية ، إلى رجال الصاعقة الأربعة (خالد) ، و (عمرو) ، و (محمد) ، و (حسن) ، مهمة تدمير أول محطة للإنذار المبكر فى قلب (سيناء) ، قبل ساعة واحدة من اندلاع حرب أكتوبر ، ولكن المهمة تعرضت لكثير من المشكلات والمتاعب ، فقد انكشف أمر الهليوكوبتر ، التى نقلتهم إلى (سيناء) ، ومات البدوى (حمدان) ، الذى كان سينتظرهم هناك ، وقامت بعمله ابنته (راوية) ، وفى نفس الوقت انتبه الإسرائيليون إلى وجود عمل مصرى ما على أرض (سيناء) ، فتحرّكوا فى تحفز وعصبية وشراسة ، واستطاعوا الإيقاع بالملازم (محمد) ، وعذبوه فى شدة ، للحصول على ما لديه من معلومات ، حتى انهار فى النهاية ، ولكنه روى لهم قصة مختلفة ، وعندما أرادوا نقله إلى سجنهم الحربى ، تصدّى لهم رفاقه ، ونجحوا فى إنقاذه ، وعند عودتهم إلى منزل (راوية) فوجئت بأن الإسرائيليين قد قتلوا أمها وشقيقتها ، فانتقل الجميع إلى منزل خالها ، ولكن الدوريات الإسرائيلية الشرسة اضطرّتهم للفرار إلى ما يطلق عليه اسم (العبّ الشرقى) ، بعد مصرع خال (راوية) وأبنائه ، ولم يكتف الإسرائيليون بهذا ، بل بدأت دوريات البحث الجوية .. وتضاعف الخطر .

الفصل الثانى عشر

الجمعة : ٥ أكتوبر ١٩٧٣ م / ٩ رمضان ١٣٩٣ هـ : الثالثة والنصف بعد الظهر .

★ ★ ★

دار (بن جازار) بطائرته الهليوكوبتر الحربية الإسرائيلية دورة كاملة ، فوق منزل الشيخ (عوّاد) ، قبل أن يلتقط جهاز الاتصال ، ويقول فى دهشة مستنكرة :

ـ المشهد يبدو وكأنه مذبحة كاملة يا (جاكوب) .. أكثر من خمس عشرة جثة تفترش الرمال ، وسط بحيرة من الدم .. ياللشيطان !.. ما الذى فعله ذلك البدوى بالضبط ؟!

أتاه صوت (جاكوب ليومى) ، رجل المخابرات الإسرائيلى ، وهو يقول فى توتر :

ـ هل يمكنك تمييز أزياء القتلى ؟.. هل من بينهم جنود يرتدون الزى العسكرى المصرى ؟!

هزّ (بن جازار) رأسه ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى الجزم من هنا يا رجل .. سأهبط لتفقّد الأمر جيدًا .

دار مع الطائرتين التابعتين له دورة أخرى ، حول منزل الشيخ (عوّاد) ، قبل أن تهبط الطائرات الثلاث إلى جوار المنزل ، وغادرها (بن جازار) ورجاله ، الذين اتجهوا فى حذر إلى المكان ، وأداروا عيونهم فيه ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ هؤلاء البدو الأوغاد قتلوا كل رجالنا .. اللعنة عليهم جميعًا .

وعلى الرغم من بركة الدماء ، التى تسبح فيها جثث القتلى ، والمشهد الذى لا يدع مجالًا للشك فى أن الجميع قد لقوا مصرعهم ،

فقد رفع الجندى فوهة مدفعه الآلى، وأطلق رصاصاته فى غضب على جثث البدو، وهو يصرخ :

ـ أيها الأوغاد .

مطّ (بن جازار) شفتيه، دون أن يعترض، وانتظر حتى توقف دوى الرصاصات، وتشوّهت جثث القتلى تمامًا، ثم رفع يده، قائلًا :

ـ فتشوا هذا المنزل، وأشعلوا فيه النيران، وألقوا جثث هؤلاء البدو فى قلب النيران، واحملوا جثث قتلانا .. هيا .

اندفع الرجال فى شراسة إلى المنزل، وراحوا يقلبونه رأسًا على عقب، حتى اكتشفوا كمية من الأسلحة والذخائر، فقال فى حدة :

ـ يبدو أنهم كانوا يعدّون لحرب طويلة .

هزّ زميله رأسه، وقال :

ـ لا يمكنك فهم هؤلاء البدو أبدًا .. فى لحظة يبدون غاية فى الوداعة والاستكانة، وعندما تبدأ فى الاطمئنان إليهم، يباغتونك بإطلاق النار على رأسك مباشرة .

قال الأوّل، وهو يحمل الأسلحة إلى الخارج :

ـ أفضل ما فيهم هو أنهم لا يطلقون النار على ظهرك قط .

هزّ الثانى كتفيه، وقال :

ـ وما الفارق ؟.. إنك تلقى مصرعك فى الحالتين .

جمعوا كل الأسلحة والذخائر، ونقلوها إلى طائراتهم الثلاث، مع جثث قتلاهم، ثم ألقى (بن جازار) نظرة طويلة على المنزل، وراجع عمليات التفتيش، قبل أن يشدّ قامته، ويقول فى صرامة :

ـ أشعلوا النيران فى المنزل .

بدأ رجاله فى إلقاء جثث البدو داخل المنزل، تمهيدًا لإشعال

النيران فى كل شىء، فى حين راح هو يدور ببصره فى المكان، مغمغمًا :

ـ ولكن المفروض أننا نبحث عن بعض الجنود المصريين .

أجابه معاونه :

ـ هناك العديد من القتلى، فى زى البدو، وربما كان بعضهم من الجنود المصريين، الذين تنكّروا فى هذا الزى .

مطّ (بن جازار) شفتيه، وغمغم :

ـ ربما .

ثم توقّف بصره عند أطلال العبّ الشرقى، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن لو لم يكونوا كذلك، فلا يوجد سوى مكان واحد، يمكن للجنود المصريين أن يختبئوا فيه منا .

وأشار إلى الأطلال، مستطردًا :

ـ هناك .

ودون أن يدرى، كانت سبابته تشير إلى موقع الصقور .. وبدقة مدهشة ..

★ ★ ★

لم يكد (عمرو) يلمح الهليوكوبتر الإسرائيلية تعبر الأطلال القديمة، حتى دفع (راوية) جانبًا، وهو يهتف :

ـ اختبئى .

التصقت (راوية) بالجدار، وراحت تلهث فى انفعال، دون أن تجرؤ على النظر إلى أعلى، وأزيز الهليوكوبتر يكاد يصم أذنيها، فى حين انبطح (عمرو) أرضًا، وكتم أنفاسه تقريبًا، وهو يلتصق بجدار متهدّم قديم ..

وعبرت الهليوكوبتر الإسرائيلية الأطلال فى سرعة ، وتبعتها طائرتان أخريان ، لم يحاول ركابها مجرّد إلقاء نظرة على الأطلال ، التى بدت لهم مقفرة للغاية ، واتجهت الطائرات الثلاث مباشرة إلى منزل (عوّاد) ، فاعتدل (عمرو) هاتفًا :

ـ إنهم يبحثون عنا .

قالت متوترة :

ـ أو أن القتال الذى دار ، بين عائلة خالى ورجالهم ، قد بلغهم على نحو ما .

قال فى انفعال :

ـ ربما .. تعالى نعود إلى الرفاق .

نطقها وهو يمسك يدها ، ويجذبها خلفه فى سرعة ..

وارتجف جسدها كله ..

صحيح أن الموقف كله لم يكن يتناسب مع هذا ، ولكن قلبها خفق فى عنف ، وهى تتطلّع إلى (عمرو) من الخلف ، وتتساءل : هل أحبّها حقًا ؟!..

ولكن كيف يقع فى حبها ، فى هذا الزمن القصير ؟..

راودتها نفسها على أن تسأله ، ولكن الحياء والخجل منعاها ، ثم لم تلبث مشاعرها أن انقلبت بغتة رأسًا على عقب ..

كيف تفكّر فى أمر كهذا ، ولم يمض بعد يوم كامل ، على مصرع عائلتها كلها ؟!..

أمها .. أختها .. خالها .. أبناء خالها .. جدتها ..

وحتى (حسن) المسكين ..

كيف ترتكب مثل هذا الجرم ؟..

سيطر عليها شعور قاس بالندم وتأنيب الضمير ، جعلها تنتزع يدها من راحة (عمرو) فى حدة ، فالتفت إليها فى دهشة ، وقال :

ـ ماذا حدث ؟

قبل أن تبحث عن جواب لسؤاله ، اندفع (محمد) نحوهما بغتة ، وهو يقول :

ـ أأنتما بخير ؟

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وكأنما ضبطهما (محمد) فى فعل فاضح ، وأشاحت بوجهها فى حياء ، فى حين أجابه (عمرو) فى سرعة وانفعال :

ـ نعم .. نحن بخير .. من الواضح أن الإسرائيليين يبحثون عنا .

قال (محمد) فى توتر :

ـ ومن الواضح أيضًا أنهم لم يلمحونا ، فقد واصلوا سيرهم بنفس السرعة .

ظهر (خالد) فى هذه اللحظة أيضًا ، وقال :

ـ أعتقد أن قدومهم إلى هنا أمر محتمل ، ومن الضرورى أن نعمل على إخفاء السيارة .

أسرعوا جميعًا إلى حيث تركوا السيارة ، وقفز (عمرو) إلى مقعد القيادة ، وأدار محرّكها ، وهو يتجه بها إلى منطقة متهدّمة ، تخفيها تقريبًا عن الأنظار ، ثم قفز منها ، وهو يقول :

ـ هذا يكفى ، لو أنهم سيكتفون باستطلاع جوى .

بلغت مسامعهم أصوات الطلقات النارية ، فانعقد حاجبا (خالد) ، وهو يتمتم :

ـ ما الذى يطلقون عليه النار هناك ؟

هزّت (راوية) رأسها فى حيرة ، وغمغمت :

ـ لست أدرى .. لقد كان الجميع قتلى ، عندما غادرنا المكان .

ثم انتابتها نوبة عصبية مباغتة ، وهى تصرخ فى وجوههم :

ـ وكان المفروض أن ندفنهم ، لا أن نتركهم هكذا ، لتنهش ذئاب الصحراء جثثهم .

كانت تفرغ انفعالاتها ، وعواطفها ، وشعورها العنيف بتأنيب الضمير ، فى تلك الثورة ، التى انتهت بانفجارها باكية ، فالتفت (عمرو) إلى (خالد) ، وقال فى حدة :

ـ إنها على حق .. كان المفروض أن ندفن الجميع ، كما فعلنا

مع جثة (حسن) ، ولست أدرى بعد سر إصرارك على تركهم فى العراء على هذا النحو .

أجابه (خالد) فى صرامة :

ـ لو أنك طرحت عواطفك جانبًا ، وحاولت أن تفكّر بعقلك فحسب ، لأدركت السبب على الفور .

أساء (عمرو) فهم العبارة ، وخُيّل إليه أن (خالد) يلمّح إلى عواطفه تجاه (راوية) ، ولم ينتبه إلى أن تلك العواطف مازالت وليدة ، ولم تتجاوز أعماقه هو ، فاندفع نحو (خالد) فى حدة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقصد ؟.. هه.. ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟

وهوى بقبضته بغتة على وجه (خالد) ، الذى فوجئ باللكمة ، فسقط أرضًا وسط الأطلال ، وصاح به غاضبًا :

ـ هل جننت أيها الملازم ؟

صاح (عمرو) فى عصبية :

ـ نعم .. ويمكنك أن تحاكمنى عسكريًا عند عودتنا ، والآن قم لتواجهنى فى شجاعة ، لو أنك رجل بحق .

قفز (خالد) وآقفًا على قدميه ، ولوّح بقبضتيه ، قائلًا :

ـ فليكن .. هيا أيها الملازم .. أنت تحتاج إلى من يلقّنك درسًا .

صاح (محمد) مستنكرًا :

ـ ما الذى تفعلانه ؟.. هل فقدتما عقليكما ؟

ولكن (عمرو) انقضّ على (خالد) مرة ثانية ، وحاول أن يلكمه فى معدته ، إلا أن (خالد) دار حول نفسه فى سرعة ، وركله فى صدره فى قوة ، فتراجع فى عنف ، وصرخت (راوية) :

ـ كفى .. كفى .

وفى نفس الوقت ، أحاط (محمد) وسط (عمرو) بذراعيه ، وهو يقول :

ـ لقد أتينا إلى هنا لنقاتل الإسرائيليين ، لا لنتقاتل معًا .

أعادت صيحته إليهما صوابهما ، فخفض (خالد) قبضتيه ، وهو يتمتم فى ضيق :

ـ أنت على حق .

أما (عمرو) ، فهتف فى عصبية :

ـ ولكنه يدّعى أن عواطفى خدعتنى .. أية عواطف تلك التى يشير إليها ؟!

جلس (خالد) على صخرة كبيرة ، وهو يقول :

ـ أنت مصرى يا (عمرو) ، والمصريون ، بل العرب جميعًا ، لديهم حساسية خاصة تجاه الموت ، وضرورة دفن الموتى ، والعدو يعرف عنا هذه الصفة ، كما نعرف عنه اهتمامه الشديد بدفن موتاه فى الأرض التى عاشوا عليها .. ولقد فكّرت فى الأمر كقائد ومسئول عن نجاح هذه العملية ، وليس كشخص عاطفى .. لقد قدّرت أن ترك الجثث دون دفنها ، سيوحى للعدو بأنه قتال بين جانبين ، قتل كل منهما الآخر ، دون أن يتبقى أحياء لدفن الجثث ، وهذا سيوقف مطاردته لنا إلى حد ما ، أما لو قمنا بدفنها ، فسيعرف العدو على الفور أننا هنا ، وسيزداد إصراره على نبش المنطقة للعثور علينا ، وهذا يتعارض مع المهمة الرئيسية ، التى تنتظر منا (مصر) كلها ، أن نجازف بأرواحنا وعواطفنا من أجل نجاحها .

سألته (راوية) :

ـ لماذا دفنت جثة (حسن) إذن ؟

أجابها فى حزن :

ـ لأنه جندى مصرى ، وملامحه لا توحى بأنه بدوى ، وسيعلمون حتمًا أنه ليس إسرائيليًا ، على الرغم من الزى العسكرى الإسرائيلى الذى يرتديه .

ثم رفع عينيه إليهم ، مستطردًا فى مرارة :

ـ صدقونى يا رفاق .. أنا أيضًا أشعر وأتألم مثلكم ، ولكننى مسئول عن نجاح عملية (صقر) ، ومن واجبى أن أسعى لهذا ، حتى لو اضطررت للضغط على أعصابى ، وقتل مشاعرى كلها .

قالها فى تأثر شديد ، فلاذوا جميعًا بالصمت ، وهمّ (محمد) بقول شىء ما ، عندما ارتفع فجأة أزيز طائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية ، فهتف (خالد) :

ـ اختبئوا .

كانوا يتوقعون مرور الطائرات فوقهم ، ولكنهم فوجئوا بالأزيز يشير إلى هبوط الطائرات بالقرب من الأطلال ، وتناهى إلى مسامعهم صوت (بن جازار) ، وهو يقول لرجاله :

ـ فتشوا المكان جيدًا .

هتف (عمرو) :

ـ رباه !.. إنهم يعتزمون تفتيش المكان على أقدامهم .

قال (محمد) فى توتر :

ـ سيكتشفون وجودنا حتمًا ، ووجود السيارة .

شعر (خالد) بالكثير من التوتر والمرارة فى أعماقه ، وتطلّع فى قلق إلى السيارة ، التى اختفت إلى حد كبير بين الأطلال ، ولكن ليس

على نحو يمنع كشف أمرها ، مع تفتيش تقليدى . وانتابه شىء من الحنق فى أعماقه ، وهو يتمتم :

ـ لن يفسدوا خطتنا مرة أخرى ..

وقبل أن يدرك أحدهم ما يعنيه ، رأوه يقفز فجأة من مكانه ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، ويتجه نحو السيارة ، فقال (عمرو) فى حدة ، على الرغم من انخفاض صوته :

ـ ماذا سيفعل بالضبط ؟

كان (خالد) يدفع السيارة بكتفه ، محاولًا إخفاءها أكثر وأكثر ، فتمتم (محمد) ، وهو يهم بالذهاب إليه ومعاونته :

ـ إنه يحتاج إلى مساعدة .

ولكن (راوية) أمسكت به فى قوة ، وهى تقول :

ـ انتظر .. لقد ظهر بعض الإسرائيليين هناك ، وسيرونك لو غادرت مكانك هذا .

تراجع (محمد) فى سرعة ، وألقى نظرة قلقة على (خالد) ، الذى انتبه إلى مقدم الإسرائيليين ، فأسرع يختفى خلف الجدار ..

وسيطرت على (محمد) موجة عارمة من القلق ..

كان يتابع حركة الجنود الإسرائيليين الثلاثة ، الذين يفتشون ذلك الجزء من الأطلال ، وأدرك على الفور أنهم يتجهون إلى حيث اختفى (خالد) والسيارة مباشرة ، وسمع أحدهم يقول لزميليه :

ـ هل تظنان أنه من الممكن أن يختفى آدمى ، فى هذا المكان القذر ؟

أجابه أحدهما فى حزم :

ـ تذكّر ما لقنونا إياه يا رجل .. العدو يختفى دائمًا حيث لا يمكنك أن تتوقع وجوده .

ضحك الجندى ، وقال :

ـ وهل المفروض ألا أتوقع وجوده هنا ؟.. تبًا لك يا رجل .. إنها منطقة صحراوية جرداء ، ولا يوجد بها مكان للاختباء سوى هذا ، ولو أننى فى موضعهم ، ما اخترت الاختباء فيه قط .

وفجأة ، صرخ الجندى الثالث ، وهو يشير إلى الجدار ، الذى يختبئ عنده (خالد) :

ـ ما هذا بالضبط ؟

ثم ارتفعت صرخة ألم ، أعقبها دوى نيران مدافع الإسرائيليين الثلاثة ، الذين أصابت رصاصاتهم الهدف ..

وبكل دقة .

★ ★ ★

الفصل الثالث عشر

الجمعة : ٥ أكتوبر ١٩٧٣ م / ٩ رمضان ١٣٩٣ هـ : الخامسة عصرًا .

★ ★ ★

نهض اللواء (حسين قدرى) ، المسئول الأوّل عن عملية (صقر) ، لاستقبال وزير الحربية فى مكتبه ، وقال فى لهجة عسكرية رسمية :

ـ مرحبًا يا سيادة الوزير .. أعذرنى لأننى لم أستقبلك رسميًا ، كما تقتضى التعليمات ، فلم أكن أتوقّع هذه الزيارة المفاجئة قط .

صافحه وزير الدفاع ، وهو يقول :

ـ دعك من الرسميات أيها اللواء ، وأخبرنى : كيف تسير العملية ؟

اصطحبه اللواء (حسين) إلى منضدة كبيرة ، تحمل خريطة مجسّمة لمسرح العملية ، وقال وهو يشير إلى نقطة بعيدة :

ـ آخر ما لدينا من أخبار يقول : إن الإسرائيليين قد شنوا هجومًا عنيفًا على منزل الشيخ (عوّاد) ، وقتلوه مع كل أبنائه وأمه ، ولقد خسرنا أحد الصقور .

عقد الوزير حاجبيه ، وسأله فى ضيق :

ـ من منهم ؟

أجابه اللواء (حسين) :

ـ الجندى (حسن عبد العليم) .. لقد استشهد فى هذا القتال ، ولكن الباقين نجحوا فى الفرار ، ومعهم سيارة (جيب) ، وهم يختبئون الآن ، فى انتظار التنفيذ .

قال الوزير ، وصوته يحمل توترًا واضحًا :

ـ ألا يهدّد هذا العملية بالفشل ؟

هزّ اللواء (حسين) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا يا سيّدى ، فلقد وضعنا خطتنا بكل إحكام ، وافترضنا فيها أننا سنخسر أحد الأفراد ، قبل بدء التنفيذ الفعلى ، وهناك خطة بديلة ، تحتاج إلى ثلاثة أفراد فحسب ، وهى ما سيقوم الرجال بتنفيذها على الفور .

تنهّد الوزير ، وبدا المزيد من التوتر على وجهه ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى أشعر بالقلق أيها اللواء ، وكثيرًا ما أعاتب نفسى ، على أننا أرسلناهم إلى أرض المعركة مبكّرًا .

قلب اللواء (حسين) كفه ، وهو يقول :

ـ لم يكن أمامنا سوى أن نفعل هذا يا سيّدى ، فتقارير الأرصاد ، وتطورات القمر المستمرة ، لم تكن تمنحنا سوى فرصة واحدة للعبور بهم بوساطة الهليوكوبتر ، إلى منطقة الإنزال فى (سيناء) ، وبعدها كانت السماء ستخلو من الغيوم ، ويكبر حجم القمر ، ويتعذّر علينا نقلهم إلى مسرح العمليات تمامًا .

تنهّد الوزير مرة أخرى ، وقال :

ـ قدّر الله ، وما شاء فعل .

ثم رفع عينيه ، إلى اللواء (حسين) ، مستطردًا :

ـ هذه العملية بالغة الأهمية والخطورة أيها اللواء ، والرئيس يتابعها شخصيًا .

ارتسمت على شفتى اللواء (حسين) ابتسامة واثقة

ـ اطمئن يا سيادة الوزير ، سيؤدى رجالنا المهمة بإذن الله .. وبكل نجاح .

وعلى الرغم من صوته وابتسامته ، اللتين لا تفتقران إلى الثقة ، كان هناك قلق رهيب يكاد يعصف بنفسه من الداخل ..

قلق بلا حدود ..

★ ★ ★

انتفض جسد (بن جازار) ، عندما تناهى إلى مسامعه دوى الرصاصات ، وصاح برجاله :

ـ أسرعوا لنجدة زملائكم .

اندفع الجميع بأسلحتهم إلى حيث رفاقهم ، وتبعهم (بن جازار) فى توتر ، ولكنه لم يكد يبلغ المكان ، حتى هتف :

ـ ماذا حدث ؟

كان اثنان من الجنود يحملان زميلهما الثالث ، فى حين سالت على الجدار بقعة كبيرة من الدماء ، وأجابه أحد الجنديين :

ـ إنها الثعابين .. ثلاثة أو أربعة منها فى آن واحد .. لقد لدغ أحد الثعابين (افرام) ، وشاهدنا ثعبانين آخرين على الجدار ، فأطلقنا النار عليهما ، وقتلنا ذلك الذى لدغ زميلنا ، ولكن الرابع أفلت منا .

وهتف الجندى الثانى :

ـ إنه يحتاج إلى مصل واق على الفور .

أشار (بن جازار) بيده ، هاتفًا :

ـ احملوه بسرعة إلى الهليوكوبتر .

سأله أحد الرجال ، وهو يشير إلى المكان :

ـ هل نواصل التفتيش ؟

صاح به :

ـ هنا .. إنه وكر للثعابين والعقارب يا رجل .. أى مجنون هذا ، الذى يفكّر فى الاختباء فيه ؟!

انطلقوا مسرعين لنجدة زميلهم المصاب ، ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كانت طائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية الثلاث تبتعد ، فهتف (عمرو) :

ـ نجونا يا رفاق .

أسرع الثلاثة نحو (خالد) ، الذى تنفس الصعداء ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. تصوّرت لحظة أنهم لمحونى ، وأن رصاصاتهم هذه تنطلق نحوى .

ربّت (عمرو) على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا رجل .. ما كنا لنسمح لهم أن يمسّوك بسوء .

ابتسم (خالد) ، وهو يتطلّع إليه ، قائلًا :

ـ أعلم هذا .. أعلم أنه هناك رجال يحمون ظهرى .

التقت عينا كل منهما بعينى الآخر لحظة ، ثم تعانقا بغتة ، و (عمرو) يقول :

ـ اغفر لى ما فعلته معك .

ربّت (خالد) على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

ـ لا عتاب بين الأصدقاء .

كان الموقف مؤثرًا ، حتى أن الدموع ترقرقت فى عينى (راوية) ، وكادت تفلت من عينى (محمد) ، فقال بسرعة ، ليغيّر طبيعة الموقف :

ـ هل تعتقدون أنهم سيعودون مرة أخرى ؟

هزّ (خالد) رأسه ، وقال :

ـ لا .. لست أعتقد هذا .

ثم جلس فوق صخرة قريبة ، مستطردًا :

ـ والآن دعونا نراجع خطة العملية .

سألته (راوية) :

ـ أمازلت تصرّ على عدم مشاركتى لكم ؟

تطلّع إليها لحظة ، ثم قال مشفقًا :

ـ (راوية) .. هذه العملية بالغة الخطورة .

قالت فى سرعة :

ـ أعلم هذا .

التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ هل تعلمين ما الذى يمكن أن نواجهه هناك ؟.. إننا سنقتحم محطة إنذار مبكّر ، لا نعلم عنها إلا تركيباتها الخارجية ، ولكننا نجهل تمامًا ما الذى يمكن أن يواجهنا داخلها ، ومن المحتمل أن نلقى جميعًا مصرعنا هناك .

قالت فى إصرار :

ـ هذا لا يهمنى .

أجابها فى صرامة :

ـ ولكنه يهمنى أنا .. أنا المسئول عن نجاح أو فشل العملية .

ترقرقت الدموع فى عينيها مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ وهل تعتقد أنك تسعى لصالحى ، عندما تبقى على حياتى ؟.. خطأ يا سيادة النقيب .. لقد خسرت فى يومين فحسب عائلتى كلها ،

وأصبحت وحيدة هنا ، فى أرض محتلة .. هل تدرك ما الذى يمكن أن تواجهه فتاة وحيدة ، فى مثل هذه الظروف ؟

انفرجت شفتاه ، وبدا لحظة وكأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه مرة أخرى ، ولاذ بالصمت ، وهى تتابع فى مرارة :

ـ إننى أحتمى بكم .. ألا تفهمون هذا ؟.. لم يعد لى سواكم ، وأنتم تحتاجون إلىّ ، حتى تكتمل خطتكم .. لقد فقدتم (حسن) ، وسأحل محلّه .

قال بصوت خافت ، فقد الكثير من صرامته :

ـ هناك خطة بديلة ، تحتاج إلى ثلاثة أفراد فحسب ، وسنعمل على تنفيذها .. سنلغى دور المراقب الخارجى ، ونهبط جميعًا إلى المحطة .

قال (محمد) بغتة :

ـ ولماذا لا تنضم (راوية) إلينا ؟

التفت إليه (خالد) فى صرامة ، ولكنه تابع دون أن يتوقف :

ـ إنها تستطيع انتحال شخصية سكرتيرة عسكرية بالفعل ، وفى هذه الحالة لن نحتاج إلى الخطة البديلة ، وسنقوم بتنفيذ الخطة الأصلية .. ستبقى أنت فى السيارة ، لمراقبة الحراس وطاقم الأمن ، فى حين أهبط أنا و (عمرو) وهى إلى المحطة .. هذا يبدو لى مثاليًا .

قال (خالد) فى حزم :

ـ ولكنها لا تمتلك الزى أو الأوراق اللازمة .

هتفت (راوية) :

ـ من قال هذا .. لقد استخرج لى والدى بطاقة عسكرية سليمة ، باسم (بولينا ياكوف) ، وأنا أخفى زى سكرتيرة عسكرية فى مخبأ سرى ، فى منزلنا .

تطلّع إليها (عمرو) فى دهشة ، ثم ضحك قائلًا :

ـ هل كنت تتوقعين هذا ؟

قالت فى حماس :

ـ بل كنت أحلم بحدوثه .

ثم التفتت إلى (خالد) ، مستطردة فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

ـ والآن ما رأيك ؟

قبل أن يفتح شفتيه ليجيب ، قال (عمرو) :

ـ أنا أوافق على انضمامها إلينا .

وأضاف (محمد) :

ـ وأنا أرى أن هذا ضرورى .

صمت (خالد) لحظات ، وبدت على وجهه دلائل التفكير العميق ، ثم تطلّع إلى (راوية) ، وقال :

ـ أعتقد أن أفضل مكان يمكننا أن نقضى فيه ليلتنا ، هو منزلكم يا (راوية) ؟ فلن يفكّر الإسرائيليون فى العودة إليه مرة أخرى ، كما أنك ستحضرين أوراقك وزيك العسكرى من هناك .

تهلّلت أساريرها ، وهى تهتف :

ـ هل يعنى هذا أنك قد وافقت ؟

وثب نحوها بغتة ، ودفعها جانبًا ، وهو يقول :

ـ احترسى .

ثم استل خنجره ، وهو يضغط بحذائه الثقيل على عنق ثعبان ضخم ، قبل أن يفصل عنقه بضربة سريعة من خنجره ، ثم حمله وهو يقول :

ـ من حسن حظنا أن أتى هذا الثعبان إلينا .

كان الجميع يتطلعون إليه فى دهشة ، ثم هتفت (راوية) :

ـ من حسن حظنا ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

ـ إننا لن نقضى اليوم كله بلا غذاء .. أليس كذلك ؟

★ ★ ★

مالت الشمس للمغيب ، على أرض (سيناء) ، معلنة نهاية يوم آخر من الاحتلال الإسرائيلى ، وراقب (جاكوب ليومى) احتضارها فى بطء ، قبل أن يتمتم فى شىء من الحنق الممزوج بالغضب :

ـ إذن فأنتم لم تعثروا عليهم .

ابتسم (بن جازار) ، وهو يصب لنفسه كأسًا من الخمر ، ورفعها إلى شفتيه ليتذوّقها ، وهو يقول :

ـ أتمنى لو علمت سر عصبيتك هذه يا (جاكوب) .. إنها أوّل مرة تتعامل فيها مع موقف ما ، بكل هذه الحساسية !.. ماذا أصابك يا رجل ؟

زفر (جاكوب) فى توتر ، وقال :

ـ الموقف كله لا يروق لى هذه المرة ، وأشعر أن المصريين يدبرون أمرًا خطيرًا ، يفوق كل عملياتهم السابقة .

ضحك (بن جازار) ، وهو يقول :

ـ تشعر ؟!.. آه لو سمعك مدير المخابرات أو وزير الدفاع ، وأنت تنطق هذه الكلمة !.. إنك ضابط مخابرات يا رجل ، ورجال المخابرات لا يتحركون وفقًا لمشاعرهم ، بل يتبعون الحقائق المجرّدة وحدها .. ماذا دهاك ؟.. هل تحتاج منى إلى أن أعلمك هذا ؟

التفت إليه (جاكوب) ، وقال فى حدة :

ـ قل لى يا رجل : هل يبدو لك الأمر عاديًا أو مألوفًا ؟ هليوكوبتر مصرية خالية ، تصطدم عمدًا بواحدة من طائراتنا ، وضابط مصرى نلقى القبض عليه هنا ، ثم يفلت بهجوم انتحارى عجيب ، وبعدها يقاتل أحد شيوخ البدو مع أبنائه رجالنا ، فى سابقة ليس لها مثيل .. ألا يعنى هذا أنه هناك خطر ما على الأبواب ؟

قال (بن جازار) فى سخرية :

ـ وما الخطر الذى تتوقعه ؟.. أن يقتحم المصريون خط (بارليف) ..

عقد (جاكوب) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أنت تعلم أن هذا مستحيل !.. إننى أفكر فى عملية استنزافية أخرى .

هتف (بن جازار) :

ـ اطمئن يا رجل .. نحن بعيدون تمامًا عن خطوط حرب الاستنزاف هذه ، ثم إن المصريين لا يضربون كثيرًا ، والأهم من هذا .. هل توحى لك تقارير المخابرات باحتمال حدوث شىء ما ؟

هزَّ (جاكوب) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .. إنها كلها ـ على العكس ـ تؤكد أن كل شىء هادئ تمامًا ، وأنه من غير المتوقع أن تخطر فكرة الحرب على أذهان المصريين ، قبل عشرة أعوام على الأقل .

صبَّ (بن جازار) كأسين من الخمر هذه المرة ، وهو يهتف :

ـ عظيم .. ما الداعى إلى القلق إذن ؟

وناول أحد الكأسين إلى (جاكوب) ، مستطردًا :

ـ خذ يا رجل .. دعنا نحصل على قدر من الراحة ، وعلى بعض الخمر الجيد .

التقط (جاكوب) الكأس ، وهو يقول فى شرود :

ـ ألا ترى أنه من الضرورى أن أرسل تقريرًا بكل مخاوفى إلى الرؤساء ؟

هتف (بن جازار) :

ـ فى هذا الوقت بالذات ؟!.. ستكون أسخف حركة قمت بها فى حياتك كلها يا رجل ؛ فلن يروق لهم أبدًا أن تزعجهم فى عيد الغفران (كيبور) .. هيا يا رجل .. ارتشف كأسك ، ودعنا نحلم باحتفالات العيد غدًا .. هيا .

غمغم (جاكوب) :

ـ أنت على حق .

ثم جرع كأسه دفعة واحدة ..

وحتى الثمالة .

★ ★ ★

الفصل الرابع عشر

السبت : ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م / ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ : الخامسة والنصف صباحًا .

★ ★ ★

اجتاز رئيس الجمهورية باب مركز قيادة المعركة ، مرتديًا زيه العسكرى ، وحاملًا على كتفيه رتبة القائد الأعلى للقوات المسلحة ، ونهض جميع القادة وكبار الضباط لاستقباله ، وقد ارتسم الأمل والحماس على وجوههم ، فصافحهم الرئيس واحدًا فواحدًا ، وسألهم فى اهتمام :

ـ هل كل شىء على ما يرام ؟

أجابوه فى ثقة :

ـ اطمئن يا سيادة الرئيس .

وتبادلوا معه حديثًا قصيرًا ، قبل أن يتفرَّقوا ، ويحتل كل منهم موقعه ، فى غرفة العمليات المركزية ، وخلع الرئيس غطاء رأسه العسكرى ، ووضعه أمامه على المائدة ، وهو يشعل غليونه ، ويسأل وزير الحربية :

ـ كيف الحال فى (سوريا) ؟

أجابه وزير الحربية فى هدوء :

ـ كل شىء يسير وفقًا للخطة يا سيادة الرئيس ، وهناك تنسيق تام بيننا وبينهم ، وسيتم الهجوم الشامل فى موعده بإذن الله .

أومأ الرئيس برأسه متفهمًا ، وهو ينفث دخان غليونه ، ويغمغم :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم سأل فى اهتمام شديد :

ـ وما أخبار عملية (صقر) ؟

أجابه الوزير :

ـ كن مطمئنًا يا سيادة الرئيس .. سينفذ رجالنا مهمتهم ، حتى ولو اضطروا لمقاتلة نصف الجيش الإسرائيلى .

أومأ الرئيس مرة أخرى ، وقال :

ـ لقد قرأت تقاريرهم الشخصية ، وهم بالفعل من طراز ممتاز ، ولكن النتائج ستختلف كثيرًا لو فشلوا .

قال الوزير :

ـ لن يفشلوا بإذن الله يا سيادة الرئيس .

سأله الرئيس :

ـ وأين ينبغى أن يكونوا ، فى هذه اللحظة ؟

ألقى الوزير نظرة على ساعته ، وقال :

ـ إنهم لم يبدءوا تحركاتهم بعد ، ولكن فى تمام الحادية عشرة سيكونون هنا بإذن الله .

قالها وهو يشير إلى نقطة محدودة على الخريطة الكبيرة ، التى ترسم مسرح العمليات كله ..

وبكل ثقة ..

★ ★ ★

« كل شىء يشبه التدريبات تمامًا يا رفاق .. » .

نطق النقيب (خالد) هذه العبارة ، وهو مستلق على الرمال ، فوق تبة تبعد كيلومترًا واحدًا عن المحطة (عاين) ، ومنظاره المقرَّب فوق

عينيه ، يدرس به أرض المعركة ، ثم لم يلبث أن ناوله للملازم أوّل (عمرو) ، مستطردًا :

ـ لقد صنع رجالنا نموذجًا مطابقًا للغاية .

وضع (عمرو) المنظار على عينيه ، وتطلّع إلى المحطة ، وإلى برج الإرسال المرتفع ، والدبابتين ، والمبانى الثلاثة الصغيرة ، وسور الأسلاك الشائكة ، وجنود الأمن والحراسة ، قبل أن يتمتم :

ـ نعم .. لقد صنعوه بدقة بالغة ، حتى أننى أشعر وكأننى كنت هنا من قبل .

نهض الاثنان فى حزم ، ونفضا الرمال عن ثيابهما العسكرية الإسرائيلية ، ثم ألقى (خالد) نظرة على ساعته ، وقال :

ـ فلنبدأ على بركة الله .

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة بالضبط ، وكان الجميع يقفون فى نفس النقطة ، التى أشار إليها الوزير ، ولقد احتل كل منهم موقعه داخل السيارة (الجيب) ، فجلس (محمد) خلف عجلة قيادتها ، وإلى جواره (عمرو) ، وخلفهما (خالد) و (راوية) ، وتمتم (خالد) ، فى صوت لم ينجح فى إخفاء نبرة الانفعال فيه :

ـ هيا .

قرأ (محمد) بعض الآيات القرآنية فى أعماقه ، وتحرّكت لها شفتاه ، ثم أدار محرّك السيارة ، وانطلق متجاوزًا التبة الرملية ، فى طريقه إلى المحطة ..

وران على السيارة صمت تام ، لا يقطعه سوى هدير محرّكها الخشن ..

وسبح (خالد) مع أفكاره ، وهو يتذكّر زوجته الشابة ، التى لم يمض بعد عام كامل على زواجه منها ، والتى تنتظر مولودهما الأوّل ، خلال أسابيع قليلة ، وتساءل فى نفسه : هل سيمكنه رؤيتها مرة أخرى ؟.. وهل من المقدّر له أن يرى ابنه أو ابنته منها ..

أما (عمرو) ، فقد سبحت أفكاره بعيدًا ، وتركّزت كلها حول (راوية) .. عندما أسندوا إليه العملية ، لم يكن يفكّر كثيرًا فى خروجه منها حيًا ، أو عدم خروجه على الإطلاق ، أما الآن ، فهو يتمنى لو نجحت العملية ، ونجا هو و (راوية) ، حتى يتزوّجها ، وينعم بقربها ما بقى لهما من عمر ..

(محمد) وحده كان يفكّر فى (حسن) ..

كان يشعر بالحزن ؛ لأن القدر لم يمهله ، حتى يشارك فى العملية ، التى امتلأت نفسه بالحماس من أجلها ..

وفجأة ، انتزعهم من أفكارهم أزيز مخيف ، خفقت له قلوبهم فى صدورهم ..

أزيز مروحة هليوكوبتر عسكرية إسرائيلية ، برزت بغتة من خلف تل قريب ، واتجهت نحوهم مباشرة ..

وهتفت (راوية) :

ـ لقد رأونا .. ماذا نفعل ؟!

أجابها (خالد) فى حزم :

ـ لاشىء .. واصلوا طريقكم وكأن شيئًا لم يحدث ، ولوّحوا بأيديكم لقائد الطائرة ، وارسموا ابتسامة كبيرة على وجوهكم ، وسيظن أنكم بعض رفاقه ، فى الجيش الإسرائيلى .

فعلوا ما أشار به (خالد) بالضبط ، ولكن الطيار الإسرائيلى راح يحوم فوقهم فى شك ، وهو يراجع جدول التحركات لديه ، ثم لم يلبث أن تبعهم فى حذر ، وكأنه يرغب فى التيقن من وجهتهم ..

وفى توتر ، قال (عمرو) :

ـ هذا الوغد يتبعنا فى إصرار .

أجابه (خالد) فى حسم :

ـ لا تلتفت إليه .. واصل طريقك نحو المحطة يا (محمد) ، ولا تبد أى تردُّد .

أطاعه (محمد) ، وواصل انطلاقته على نحو يوحى بالثقة ، والهليوكوبتر تتبعهم عن قرب ، حتى بلغوا بوَّابة المحطة ، فأشار إليهم أحد الجنديين ، اللذين يقفان لحراستها ، وتوقف (محمد) أمامه مباشرة ، فألقى الجندى نظرة على الطائرة ، ثم أشار إلى لافتة تجاوره ، كُتِبَ عليها « شيتح سجور » ، وهى كلمة عبرية ، تعنى أنها منطقة محرَّمة ، فقال (عمرو) فى صرامة ، وبلغة عبرية سليمة :

ـ سريكا(*) .. وكلمة السر (شالوم) .

عقد الجندى حاجبيه ، وسأل :

ـ هل تحملون أمرًا بهذا ؟

أشار (عمرو) إلى (محمد) ، وهو يقول :

ـ أنا رف سيرين(**) (إلياهو بن عسار) .. مراقب عسكرى ، والمفروض أن أقوم بمراجعة وسائل الأمن فى المحطة اليوم .. ألم تصلكم الأوامر بعد ؟

(*) سريكا : حملة تفتيش باللغة العبرية .

(**) رف سيرين : رائد باللغة العبرية .

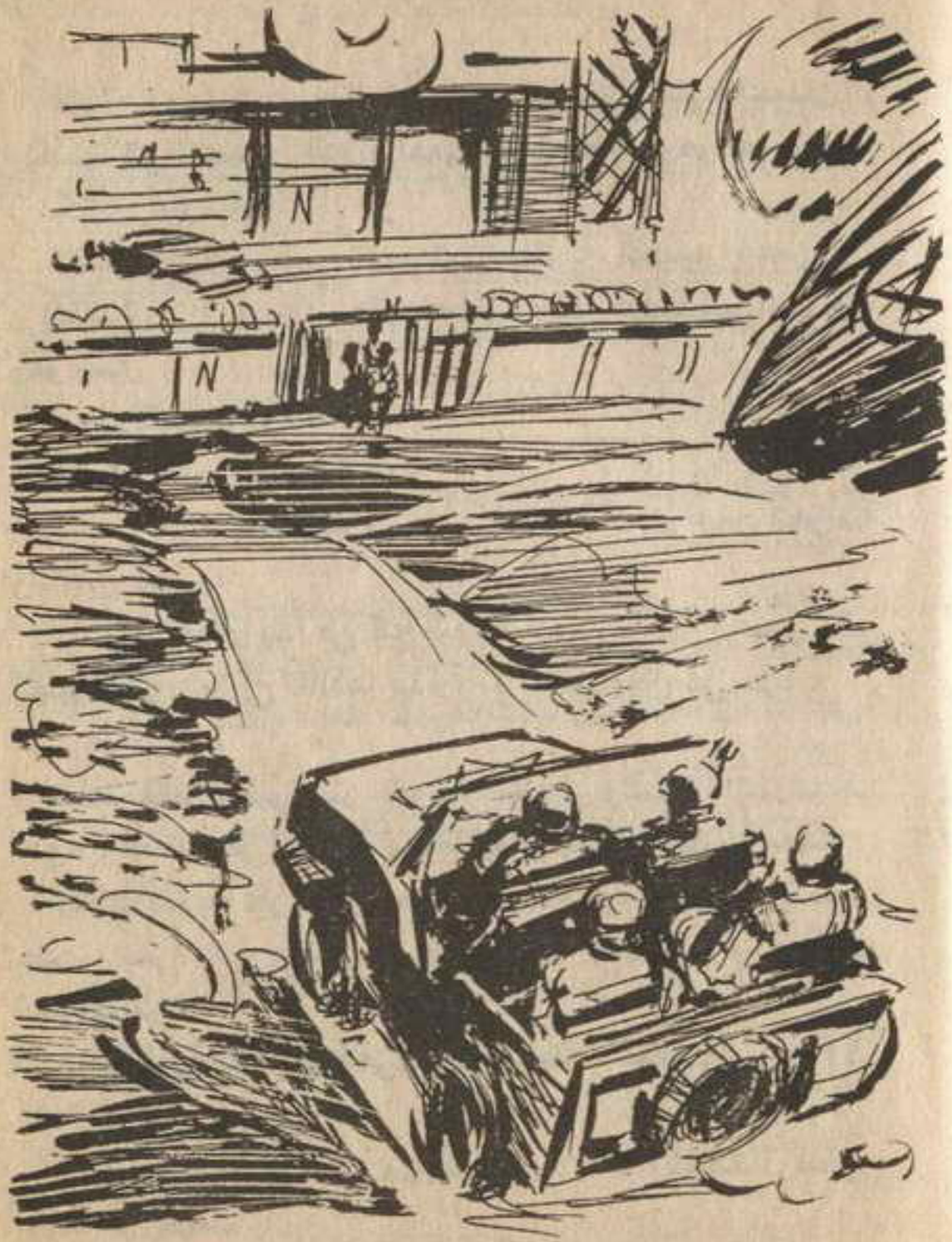

قالها و (محمد) يخرج كل الأوراق ، التى تركها الشيخ (حمدان) ، ويقدّمها إلى الجندى ، الذى راجعها فى اهتمام ، وهو يغمغم :

ـ لا .. ليس بعد .

كانت الأوراق تضم الهويات العسكرية للجميع (عمرو) ، و (خالد) ، و (راوية) ، و (محمد) ، ولقد أعادها لهم الجندى ، وهو يسأل :

ـ هل الهليوكوبتر تتبعكم ؟

أجابه (عمرو) دون تردّد :

ـ نعم .. ولكنها ستنصرف فور دخولنا .. إنه نوع من الحراسة والتأمين فحسب .

ولم يكد الجندى يبدأ فى فتح البوّابة ، حتى استدار (عمرو) إلى الهليوكوبتر ، ولوّح لقائدها بيده ، ثم اعتدل وقال فى حزم :

ـ هيا .

شاهد قائد الهليوكوبتر البوابة تنفتح ، والسيارة تعبرها فى هدوء ، فاستدار فى ارتياح ، وابتعد ليكمل جولته التفتيشية مطمئنًا ..

وكانت ضربة قدرية غير محسوبة ، فوجود الهليوكوبتر طمأن جندى الحراسة ، وسماح الجندى لهم بالدخول أراح قائد الهليوكوبتر ..

وعندما توقّفت السيارة فى ساحة المحطة ، غمغمت (راوية) فى انفعال :

ـ هل رأيتم ما حدث ؟.. من الواضح أن الله (سبحانه وتعالى) يؤيّدنا فى مهمتنا .

غمغم (محمد) :

ـ الله (سبحانه وتعالى) يؤيد بنصره كل من يقاتلون فى سبيل الحق .

أومأ (عمرو) برأسه موافقًا ، فى حين أدار (خالد) عينيه فى المكان بسرعة ، وتوقّف بصره عند المبنى المستقل ، الذى يتكوّن من طابق واحد ، ويحمل لافتة صغيرة كُتِبَ عليها : «مشترا تسفنيت»(*) ، وغمغم :

ـ هناك أربعة من جنود الشرطة العسكرية .

أجابه (عمرو) ، وهو يغادر السيارة :

ـ أضف إلى هذا الجنديين ، اللذين يحرسان البوّابة ، وذلك الذى يقف عند المصعد ، وطاقمى الدبابتين ، يكون المجموع خمسة عشر رجلًا .. هل يمكنك أن تواجه كل هذا العدد وحدك ؟

قال (خالد) فى صرامة :

ـ تحرّك وفقًا للخطة ، ولا تقلق نفسك بشأنى .

هزّ (عمرو) كتفيه ، وأشار إلى (محمد) و (راوية) ، قائلًا :

ـ اصحبانى .

بقى (خالد) فى السيارة ، فى حين اتجه الثلاثة إلى باب صغير ، يتوسّط المبنيين ، عند قاعدة برج المراقبة ، وأشار (عمرو) إلى حارسه ، قائلًا :

ـ خذنا إلى قائدك .

(*) مشترا تسفنيت : الشرطة العسكرية باللغة العبرية .

وبدأت (راوية) تشعر بالتوتر ، والمصعد يهبط بهم إلى عمق ستة أمتار ، تحت سطح الأرض ، وتحوّل توترها هذا إلى عصبية شديدة ، عندما فُتح باب المصعد فى الطابق السفلى ، وبدا أمامهم ممر طويل ، يبلغ العشرين مترًا تقريبًا ، توزّعت على جانبيه ثمان حجرات مغلقة ، وتألّقت فى سقفه الأضواء على نحو جيد ..

وقادهم جندى المصعد إلى الحجرة الأخيرة ، التى تحمل لافتة باسم قائد المحطة (بنيامين جولهى) ، وطرق بابها فى احترام ، ثم ولجها فى خفة ، وغاب داخلها لحظات ، ثم خرج يقول :

ـ سيقابلك القائد على الفور يا سيِّدى ..

أشار (عمرو) إلى (محمد) و(راوية) ، وقال فى صرامة عسكرية :

ـ انتظرانى هنا .

ودلف إلى الحجرة فى سرعة ، وأغلق بابها خلفه ..

وداخل الحجرة ، نهض قائد المحطة يستقبله ، وهو يسأله :

ـ ترى ما سر هذا التفتيش المفاجئ أيها الرائد .

هزَّ (عمرو) رأسه نفيًا ، وقال بابتسامة باهتة :

ـ الواقع أنه ليس لدى أدنى فكرة يا سيِّدى .. إننى أتلقى الأوامر ، وأسعى لتنفيذها فحسب ، و ...

دق القائد سطح مكتبه بغتة فى غضب ، وهو يصيح :

ـ كفى !

توقّف (عمرو) على الفور ، وتساءل فى قلق عن سر غضب وعصبية قائد المحطة ، ثم لم يلبث قلقه هذا أن تحوّل إلى توتر شديد ، عندما رمقه القائد بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ كف عن هذه المهاترات السخيفة ، وأخبرنى بالحقيقة .

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته مرة أخرى ، صارخًا :

ـ أريد الحقيقة .

ازدرد (عمرو) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ أية حقيقة يا سيِّدى ؟

لوَّح الضابط بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ حقيقة ما يسعى إليه هؤلاء الأوغاد ، فى إدارة التفتيش المركزية .. هل فقدوا ثقتهم بقدرتى على إدارة المكان ، أم أنهم يبحثون عن مبرِّر للإطاحة بى ؟!.. إنها المرة الثالثة التى يجرون فيها التفتيش على محطتى هذه .. ألم يجدوا سوى عيد الغفران ، لإتخامى بتفتيش جديد ، ليس له ما يبرِّره ؟!

تنفس (عمرو) الصعداء ، وتظاهر بالتعاطف مع قائد المحطة ، وهو يهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ أنت تعرف تعنتهم هناك يا سيِّدى .. أنا أيضًا أكره أن أعمل فى عيد (كيبور) ، ولكنها الأوامر .

مطَّ القائد شفتيه فى غضب صارم ، ثم ألقى جسده الضخم على مقعده ، ولوّح بذراعه كلها مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ فليكن .. لو أنك تصرّ على العمل فى يوم العيد ، فهذا شأنك .. المحطة كلها أمامك .. أدِّ عملك كما يحلو لك ، ولكننى لن أغادر مكتبى قط .

حاول (عمرو) أن يمنع الابتسامة من التألق على شفتيه ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .

وأدى التحية العسكرية الإسرائيلية ، ثم غادر الحجرة ، وقال لزميليه :

ـ هيا .. سنبدأ عملية التفتيش .

أما قائد المحطة ، فقد عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يغمغم :

ـ (جاكوب) اللعين .. أراهن أنه خلف هذا .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف الداخلى ، وضغط اثنين من أزراره ، قبل أن يقول :

ـ أنا (جوهلى) يا (بانيل) .. اتصل بذلك الوغد (جاكوب) .. نعم .. (جاكوب ليومى) ، وقل له : إننى سأنتقم منه لما فعله ، ولو أنه أرسل فريق تفتيش آخر ، فى أحد أيام الأعياد ، فسأذهب إليه ،

وأطلق النار على رأسه مباشرة .. انقل إليه الرسالة كما أبلغتك إياها بالضبط .. هل تفهم ؟

وأنهى الاتصال فى حدة ، وأشعل سيجارته ، وراح ينفث دخانها فى غضب ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا (جاكوب ليومى) فى دهشة ، عندما استقبل الرسالة ، وغمغم فى حيرة :

ـ فريق تفتيش آخر ؟!.. أى فريق تفتيش هذا ؟

عقد حاجبيه فى شدة ، فى محاولة لتذكر أى شىء يتعلَّق بهذا القول ، ثم نهض إلى مكتبه ، وراجع جداول العمل ، التى وصلته مؤخرًا ، وقال لنفسه :

ـ ماذا أصاب (جوهلى) المخبول هذا ؟!.. أى فريق تفتيش ذلك ، الذى يختار يوم العيد بالذات ، ليتحمَّل مشقة التفتيش على محطة فى قلب الصحراء ؟!

دارت الفكرة كلها فى ذهنه ، وكان يلقى الحديث كله خلف ظهره ، عندما برزت فى رأسه بغتة عدة أحداث ، بدءًا من الهليوكوبتر المصرية ، التى تحطَّمت فى قلب (سيناء) ، وحتى معركة عائلة (عوَّاد) مع فريق التفتيش ، و ...

وفجأة ، قفز (جاكوب) من مكانه ، وهو يصرخ :

ـ المصريون .

ثم انقض على هاتفه ، وضغط أزراره فى سرعة ، وهتف :

ـ أريد طائرة هليوكوبتر على الفور .. لا يهمنى أى طيَّار تحضره

لقيادتها .. أحضر الهليوكوبتر وسأقودها بنفسى .. المهم أن تصلنى فى أسرع وقت ممكن ، وأرسل إشارة عاجلة إلى المحطة (عاين) ، وقل لهم :

ـ إن فريق التفتيش لديهم زائف .. هل تفهم ؟.. زائف .

وأنهى الاتصال فى عنف ، وقفز يرتدى زيه العسكرى ، ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، وهتف :

ـ كل ما أرجوه هو أن أصل فى الوقت المناسب .

كانت عقارب ساعته تشير إلى الثانية عشرة ظهرًا ، ولكن المشكلة هى أنه لا يعلم ما هو الوقت المناسب ..

لا يعلم أى شىء عنه ..

★ ★ ★

قالت (راوية) فى شىء من التوتر ، وهى تتوقف مع (عمرو) و (محمد) ، أمام حجرة الاتصالات :

ـ أظن أنه من المفروض أن ننسف هذه الحجرة بالذات .

أجابها (عمرو) :

ـ لو أننا استطعنا الوصول إلى الكابلات الرئيسية ونسفها ، لن تكون هناك أية أهمية للمحطة كلها ، بما فى ذلك حجرة الاتصالات .

تمتم (محمد) :

ـ السؤال إذن هو : أين الكابلات الرئيسية ؟

دفع (عمرو) باب حجرة الاتصالات ، وهو يقول :

ـ دعنا نلق عليهم السؤال مباشرة .

ولم يكد الجنود الأربعة فى حجرة الاتصالات يلمحونه ، حتى هبوا

واقفين ، وأدوا التحية العسكرية فى احترام ، فأشار إليهم (عمرو) ، قائلًا :

ـ عودوا إلى عملكم .. إنه تفتيش روتينى .

عاد كل منهم إلى عمله ، وتظاهر هو بمراجعة التقارير ، وهو يقول :

ـ لقد اضطررت لتوقيع الجزاءات على بعض زملائكم ، فى الحجرات الأخرى ، وأرجو ألا أضطر إلى هذا هنا .

ازدرد الجنود لعابهم فى صعوبة ، وغمغم أحدهم :

ـ إننا نؤدى عملنا يا سيدى .

أشار إليه (عمرو) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لماذا لا ترتدى رتبتك ؟

ارتبك الجندى ، وهو يغمغم :

ـ معذرة يا سيدى .. إنه عيد الغفران ، ولم نكن نتوقع هذا التفتيش فى الواقع ، و ...

قاطعه (عمرو) فى صرامة :

ـ ينبغى أن تتوقع التفتيش فى أية لحظة يا رجل .

تمتم الجندى منكمشًا :

ـ بالطبع يا سيدى .. بالطبع .

مط (عمرو) شفتيه ، وكأن هذا لا يرضيه ، وأشار إلى الجدران ، قائلًا فى امتعاض :

ـ مازال هناك قصور فى الإجراءات الأمنية ، فوجود الكابلات الرئيسية خلف الجدران ، يجعلها معرضة لارتفاع درجات الحرارة .

اعتدل جندى آخر ، وقال :

ـ ولكن الكابلات الرئيسية ليست خلف الجدار يا سيِّدى .. إنها تمرّ عبر فتحة التهوية الرئيسية ، تحسبًا لهذا بالتحديد .

برقت عينا (عمرو) ، وهو يردِّد :

ـ تمر عبر فتحة التهوية الرئيسية ؟!.. أتقصد تلك الموجودة فى أقصى شمال المحطة ؟!

هزَّ الجندى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل تمر بحجرة القائد مباشرة يا سيِّدى .

تبادل (محمد) و (راوية) نظرة سريعة ، شفَّت عما يعتمل فى أعماق كل منهما من انفعالات ، فى حين اعتدل (عمرو) فى ارتياح واضح ، وهو يغمغم :

ـ آه .. هذا صحيح .. كيف نسيت موقعها ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أصدر جهاز الاتصال أزيزًا خافتًا ، ثم بدأت طابعة الورق فى العمل ، لتنقل رسالة خاصة إلى القاعدة ، وفى حركة غريزية ، أدار (محمد) عينيه إلى الورقة ، وقرأ فوقها رسالة تقول :

ـ « من القيادة العامة إلى المحطة (عاين) .. تحذير .. فريق التفتيش الموجود لديكم زائف .. تكرر .. فريق التفتيش زائف .. » .

ولم ينتظر (محمد) حتى يقرأ التوقيع على الرسالة ، فقد رأى عينى الجندى الذى استقبلها تتسعان فى هلع ، فهوى على مؤخرة عنقه بغتة بضربة عنيفة ، ثم وثب يركل الثانى فى فكه ، وهتف الثالث فى ذهول :

ـ ماذا تفعل يا رف توراى ؟(*)

أما الرابع فقد انتزع مسدسه بسرعة ، وهو يهتف :

ـ خيانة .

ولكن (عمرو) ركل المسدس من يده ، ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، جعلته يرتطم بأجهزة اللاسلكى ، ثم يسقط أرضًا ، فى نفس اللحظة التى انتزعت فيها (راوية) مسدسها ، وصوّبته إلى الجندى الأخير ، ولكن (عمرو) هتف بها :

ـ لا تطلقى النار .

ومع آخر حروف كلماته ، غاصت قبضة (محمد) فى معدة الجندى ، ثم تراجعت وقفزت تحطم فكه ، فهوى إلى جوار زملائه ، وهتفت (راوية) :

ـ لماذا فعلت هذا ؟

انتزع (محمد) الرسالة من الطابعة ، ووضعها أمامها ، قائلًا :

ـ لقد كشفوا أمرنا .

شحب وجهها فى شدة ، فى حين هتف (عمرو) :

ـ رباه !.. هذا يعنى أنه من الضرورى أن نتحرّك فى سرعة .

قال (محمد) :

ـ لابد من الوصول إلى حجرة القائد ، ومنها إلى ممر التهوية الرئيسى ، حتى يمكننا نسف الكابلات ، وتعطيل عمل المحطة فى الوقت المناسب .

انحنى (عمرو) يقيِّد الجنود الأربعة ، وهو يغمغم :

ـ ينبغى أن نتحرّك فى سرعة .

(*) رف توراى : عريف باللغة العبرية .

وسألت (راوية) (محمد) :

ـ لماذا منعتنى من إطلاق النار ؟

أجابها متوترًا :

ـ لو انطلقت رصاصة واحدة ، سيدرك الجميع هنا أننا نهاجم المحطة ، ولن يمكننا الصمود أمام قتال مباشر .. إنهم يفوقوننا عددًا وعدة بكثير .

أومأت برأسها متفهِّمة ، وهى تغمغم :

ـ كان ينبغى أن أفهم هذا .

انتزع (عمرو) ساعة يده ، وهو يقول :

ـ هيا نعدّ القنبلة الآن ، فقد لا نجد الوقت لإعدادها ، عندما نصل إلى الكابلات .

حلّ (محمد) حزام سرواله ، وجذب خيطًا فى طرفه ، فانقسم إلى نصفين ، وبرزت من داخله كتلة سميكة ، بطول الحزام كله ، أشبه بالعجين ، ولها لون رمادى داكن ، وراح (محمد) يعجنها فى سرعة ، حتى أصبحت أشبه بكرة من الطين ، وناوله (عمرو) ساعته ، وهو يقول :

ـ اضبط التوقيت على الواحدة بالضبط .

ألقى (محمد) نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الثانية عشرة والثلث ، ثم التقط ساعة (عمرو) ، وضبطها على التوقيت المطلوب ، ثم غرس طرفى حزامها الصغير فى كتلة العجين ، وقال :

ـ المفجِّر جاهز للعمل .

تطلّعت (راوية) إلى ما فعلاه فى دهشة ، وهتفت :

ـ أهذا هو المفجِّر ؟

أجابها (عمرو) :

ـ بل هى القنبلة نفسها .. متفجرات بلاستيكية ، وجهاز تفجير على هيئة ساعة يد .. إنها فكرة بسيطة للغاية ، وكل ما تبقَّى أمامنا هو أن نبلغ حجرة القائد ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اقتحم القائد الحجرة بغتة ، وهو يهتف :

ـ هل ستقضون يوم العيد كله فى ...

لم يكمل عبارته ، وهو يحدِّق فى جنود الاتصالات ، الذين قيَّدهم (عمرو) و (محمد) فى إحكام ، وفى المتفجرات التى يحملها (محمد) ، فرفع (عمرو) مدفعه فى وجهه ، وقال فى صرامة :

ـ لا تحمل علامات الدهشة هذه طويلًا .. نعم .. نحن مصريون .

انعقد حاجبا القائد فى غضب ، وتجاهل المدفع المصوَّب إليه تمامًا ، وهو ينتزع مسدسه ، صائحًا :

ـ اللعنة !

ولم يعد أمام (عمرو) اختيار آخر ..

لقد ضغط زناد مدفعه الآلى ، وأطلق النار ، و ...

وانفتحت أبواب الجحيم .

★ ★ ★

الفصل الخامس عشر

السبت : ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م / ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ : الثانية عشرة والثلث ظهرًا .

★ ★ ★

تطلَّع (خالد) إلى ساعته ، وأسند مدفعه الآلى إلى المقعد الخلفى فى السيارة (الجيب) ، ثم وثب منها ، وهو يسأل أحد رجال الشرطة العسكرية الأربعة فى عبرية سليمة :

ـ لقد سئمت الانتظار هنا .. ألا يوجد مكان ، يمكن للمرء أن يجد فيه شرابًا منعشًا ، وسقف يستظل به ؟

ابتسم الرجل ، وقال :

ـ يمكننا أن نمنحك كليهما بصفة ودية .

لوَّح (خالد) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـ عظيم .

ثم استند إلى إحدى الدبابتين ، وتظاهر بعقد رباط حذائه ، مستطردًا :

ـ ثانية واحدة .. سأعقد هذا الرباط اللعين ، وألحق بكم على الفور .

وفى خفة مدهشة ، ودون أن ينتبه إليه أحدهم ، ألصق أسفل جنزير الدبابة قنبلة زمنية موقوتة ، ذات قاعدة مغنطيسية ، ثم اعتدل ، ورسم على وجهه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ والآن .. هيا بنا .

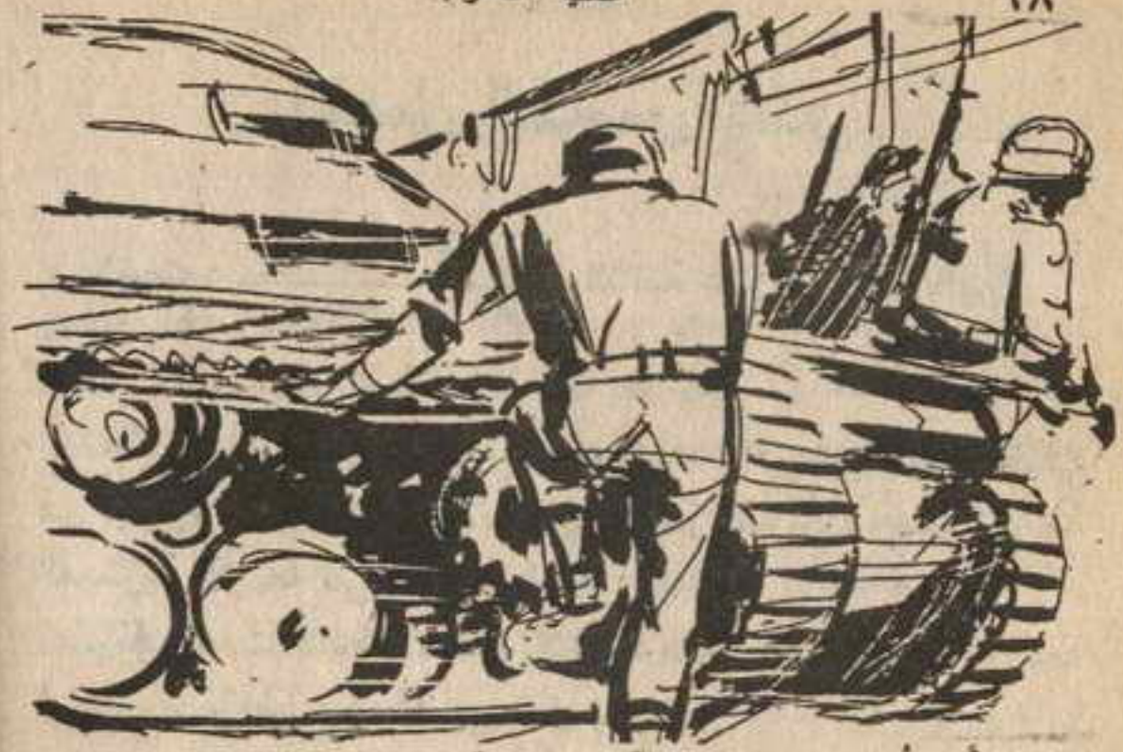

توقف أمام مبنى الشرطة العسكرية ، ولاحظ طاقمى الدبابتين ، المكوَّن من ثمانية أفراد ، أربعة لكل دبابة ، يتسامر داخل المبنى ، فى حين دخل أحد رجال الشرطة العسكرية ، وعاد وهو يحمل علبة من البيرة المثلَّجة ، ناولها لـ (خالد) ، وهو يقول :

ـ لو أردت رأيى يا رجل ، فروساؤك غاية فى السخافة .. من يقوم بعمل تفتيش رسمى كهذا ، فى يوم العيد ؟!

هزَّ (خالد) كتفيه ، وتظاهر بأنه يرتشف رشفة من العلبة ، وهو يقول :

ـ ماذا نفعل ؟!.. إننا مجرَّد جنود بسطاء .

ضحك آخر ، وقال :

ـ قل لى يا رجل : ألا تراودك نفسك أحيانًا ، على إطلاق النار عليهم ؟

أجابه (خالد) فى سرعة :

ـ إنها تراودنى على هذا دائمًا .

ضحك رجال الشرطة العسكرية الأربعة ، ولوَّح أحدهم بكفه ، وهو يقول :

ـ ومتى ينتهى ذلك الضابط من التفتيش ؟.. هل سيقضى النهار كله بأسفل .

تمتم (خالد) :

ـ ومن يدرى ؟

ثم لوَّح بيده ، واستطرد :

ـ ولكننى سأعود إلى السيارة على أية حال ، فهو صلب وصارم للغاية ، ولو عاد ووجدنى أتسامر معكم ، سيوقع علىَّ أشد الجزاء .

بدا الأسف على وجوههم ، وقال أحدهم :

ـ قلوبنا معك .

اتجه فى تراخ متعمَّد نحو الدبابة الثانية ، وألصق ظهره بها ، وهو يتظاهر بارتشاف البيرة المثلَّجة مرة أخرى ، ثم أخرج من جيبه القنبلة المغنطيسية ـ الثانية ـ ، و ...

، ماذا تفعل عندك ؟.. » .

هوت العبارة على أذنه بغتة ، فاعتدل بسرعة ، وأخفى القنبلة خلف ظهره ، وتطلَّع إلى أحد أفراد طاقم الدبابة ، الذى رمقه بنظرة قاسية ، وهو يستطرد :

ـ محظور على أى شخص الاقتراب من الدبابتين .. هل تفهم ؟

لوَّح (خالد) بعلبة البيرة ، وقال :

ـ نعم .. أفهم .. معذرة .. لم أنتبه إلى هذا .

وأعاد القنبلة إلى جيبه فى سرعة ، وهو يعود إلى السيارة (الجيب) ، ولم يكد يحتل مقعده فيها ، حتى أمسك مدفعه الآلى فى قوة ، وكأنه يستمد منه بعض الثقة ، وأفرغ علبة البيرة تحت قدميه ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة إلا الثلث ، وتساءل فى أعماقه :

ثرى كيف تسير الأمور مع رفاقه فى أسفل ..

ولم يكن من الممكن أن يستنتج الجواب ..

لم يكن من الممكن أبدًا ..

★ ★ ★

اخترقت الرصاصات جسد قائد المحطة الإسرائيلى ، وانتزعته من مكانه ، ودفعته عبر الممر كله ، ليرتطم بباب الحجرة المقابلة فى عنف ، ويحطمه ، ثم يسقط داخلها جثة هامدة ..

وقفز جنود الحجرة المقابلة فى فزع ، والتقطوا أسلحتهم ، فصاح (عمرو) ، وهو يفتح نيران مدفعه فى وجوههم :

ـ القنبلة يا (محمد) .

لم يكن هناك مجال للمناقشة أو الجدال أو الاعتراض ، لذا فقد مرق (محمد) إلى جواره ، وانحرف يمينًا ، ليبلغ حجرة القائد فى نهاية الممر ، فى نفس اللحظة التى انفتحت فيها الأبواب كلها ، وبرز أكثر من عشرين جنديًا إسرائيليًا ، أطلق بعضهم النار نحوه ..

وشعر (محمد) بألم رهيب فى فخذه ، ومرقت رصاصة على قيد سنتيمتر واحد من أذنه اليسرى ، ولكنه لم يتوقف ، وإنما اقتحم حجرة القائد ، والرصاصات ترتطم ببابها ، وقذف جسده النحيل داخلها ، فى نفس اللحظة التى سمع فيها (عمرو) يهتف به :

ـ أغلق الباب خلفك ، ولا تفكر إلا فى نجاح المهمة .. المهمة وحدها يا رجل .. (مصر) كلها أمانة فى عنقك .

وأغلق (محمد) الباب خلفه فى إحكام ، فى حين وثب (عمرو) خارج الحجرة ، وراح يطلق النيران على الإسرائيليين فى بسالة مذهلة ، وهو يصيح بـ (راوية) :

ـ ابحثى عن وسيلة للفرار .

ولكنها اندفعت لتقف إلى جواره ، بعد أن اختطفت مدفعًا آليًا ، يخص أحد جنود حجرة الاتصالات ، وأطلقت نيرانه نحو الأعداء فى سخاء ، هاتفة :

ـ سنبقى معًا ، أو نرحل معًا .

وعلى الرغم من دقة وخطورة وحرج الموقف ، فهم (عمرو) الرسالة ..

رسالة الحب ، الذى أعلنته (راوية) فى وضوح ..

ويبدو أن ذلك الحب قد منحهما قوة رهيبة ، يعجز عن استيعابها العقل ، فقد وقفا جنبًا إلى جنب ، وظهراهما لحجرة القائد ، يطلقان النار عبر ممر طويل محدود ، على فرقة كاملة من الإسرائيليين ، والرصاصات تتناثر حولهما ، دون أن يهتز لهما جفن ..

أما (محمد) ، فقد أدار عينيه فى الحجرة بسرعة ، بحثًا عن الطريق إلى ممر التهوية الرئيسى ، وهو يغمغم :

ـ أين أنت ؟!.. أفصح عن نفسك بالله عليك ، فالوقت يمضى فى سرعة .

ثم رفع عينيه إلى أعلى ، وهتف :

ـ آه .. ها هوذا .

جذب مقعدًا فى سرعة ، ووثب فوقه ، ثم رفع ذراعيه ، يزيح مربعًا كبيرًا من مكانه ، ووضع المتفجرات فى قميصه ، ثم وثب فى خفة ، اكتسبها مع رقصات البالية ، ليتشبث بحاجز المربع ، ويدفع جسده إلى أعلى ..

كان الآن داخل ممر ضيق ، يمتد ثلاثة أمتار إلى الأمام ، ثم يلتقى بآخر رأسى ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، إلى أين يمتد بالضبط ..

وساعده جسده الضئيل النحيل على الزحف عبر الممر الأفقى ، ولم يكد يبلغ الممر الرئيسى ، حتى رأى الكابلات الرئيسية أمامه ، فهتف فى حرارة :

ـ حمدًا لله .

وبسرعة ، أخرج المتفجرات من قميصه ، وثبّتها فى الكابلات بقوة ، وتأكّد من أن المؤقّت يعمل بكفاءة ، قبل أن يلقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الواحدة إلا الثلث ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت إحدى الرصاصات قد اخترقت معدة (عمرو) ، ولكنه واصل إطلاق النيران فى استماتة ، وسمع (راوية) إلى جواره ، تطلق صرخة ألم ، وشاهد الدماء تنبثق من جرح فى عنقها ، وآخر فى كتفها ، فصاح بها :

ـ تماسكى يا (راوية) .. لقد قتلنا نصفهم على الأقل .

ولكنها أطلقت شهقة مخيفة ، واتسعت عيناها فى شدة ، وأغرقت الدماء صدرها فجأة ، وهى تهمس فى ألم :

ـ الوداع يا (عمرو) .. الوداع .

رآها تسقط أمامه جثة هامدة ، فصرخ بكل غضب الدنيا فى أعماقه :

ـ (راوية) .

ثم انتزع قنبلة من حزامه ، وألقاها بأقصى قوته ، نحو نهاية الممر ، صارخًا :

ـ أيها الأوغاد .

وقبل أن تبلغ القنبلة هدفها ، اخترقت الرصاصات صدره وعنقه ، فهوى إلى جوار (راوية) ، ودفع أصابعه فى مبادرة أخيرة ، ليقبض على أصابعها ، و ...

ودوى الانفجار ..

وانتفض جسد (محمد) فى عنف ، مع دوى الانفجار ، وهتفت فى ارتياع :

ـ رباه !.. (عمرو) و (راوية) .

كان فى طريقه للعودة ، لمؤازرة زميليه ، بعد أن وضع القنبلة فى موضعها ، ولكن هذا الانفجار جعله يتسمّر فى مكانه ، ثم لم يلبث أن سمع وقع أقدام ، وصوت يهتف :

ـ إنه هناك .. سيحاول بلوغ الكابلات الرئيسية .

ثم أعقبه دوى رصاصات ، اخترقت السقف فى مواضع شتى ، فتراجع (محمد) فى سرعة إلى الممر الرأسى ، وألقى نظرة على نهايته العلوية ، فتبيّن له أنه يرتفع لمترين ، ثم يلتقى به ممر أفقى آخر ، فدفع ظهره فى جدار النفق الرأسى ، وألصق قدميه بالجدار المقابل ، وراح يدفع جسده إلى أعلى ..

كان هذا يحتاج منه إلى قوة كبيرة ، ومرونة لا بأس بها ، وخاصة مع إصابة فخذه ، وأظفاره المنتزعة فى أثناء تعذيبه ، ولكنه استنفر كل إرادته وقوته ، وراح يصعد فى بطء نسبى ، وهو يسمع صوت الإسرائيليين أسفله ، وهم يحاولون عبور الممر الأفقى ، ثم سمع صوت أحدهم تحته مباشرة ، يهتف :

ـ ها هوذا .

ودفع (محمد) جسده دفعة أخيرة ، فوثب داخل الممر الأفقى العلوى ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الإسرائيلى رصاص مدفعه الآلى ..

ونجا (محمد) بأعجوبة ، فى اللحظة الأخيرة ، ورأى الممر الثانى يمتد لثلاثة أمتار أخرى ، ثم ينتهى بممر رأسى ثان ، يتسلل إليه ضوء الصباح ، فأدرك أنه يقوده إلى الخارج ، وألقى نظرة سريعة على ساعته ، ووجد أن عقاربها تشير إلى الواحدة إلا اثنتى عشرة دقيقة ، وكان هذا يعنى أن (خالد) يشعر بتوتر شديد فى الخارج ، فهو يعلم أنه من المفروض أن يصعد رفاقه إليه فى الواحدة إلا الربع ، حتى يمكنهم الانصراف ، قبل انفجار القنبلة ..

وكان على حق فى تصوّره هذا ، فقد تطلّع (خالد) إلى ساعته فى عصبية ، وأدار عينيه إلى مدخل المصعد ، الذى يقود إلى أسفل ، وتمتم متوتّرًا :

ـ ترى ماذا حدث ؟! لقد تجاوزوا المواعيد المحدودة .

أمسك مدفعه الآلى فى تحفز ، وراح ينقل بصره فى توتر شديد للغاية ، ما بين ساعته والباب ..

وفجأة ، فتح أحدهم باب المصعد ، وشعر (خالد) بشىء من الارتياح ، إلا أنه لم يلبث أن توتر فى عنف ، عندما رأى جندى المصعد يندفع خارجًا ، وهو يصرخ :

ـ خيانة .. خيانة .. إنهم يهاجمون المحطة .

ولم يضع (خالد) ثانية واحدة بعدها ..

ولا حتى جزءًا من الثانية ..

لقد رفع مدفعه على الفور ، وأطلق نيرانه نحو رجال الشرطة العسكرية الأربعة ، الذين أخذتهم المفاجأة ، فسقطوا جثثًا هامدة ، قبل أن يستوعبوا الموقف تمامًا ، ولكن (خالد) لم ينتظر سقوطهم ..

لقد وثب ليحتمى بالسيارة ، ويتفادى رصاصات جندىَ الحراسة ، ثم أطلق رصاصاته على الجنديين ، وصرعهما فى الحال ، وبعدها استدار يواجه الجندى المتبقى ، والجنود الثمانية ، الذين يمثلون طاقمى الدبابتين .

كانوا يندفعون نحو دبابتيهم ، والجندى يقوم بتغطيتهم ، ولكن (خالد) قفز من مكانه فى جرأة مدهشة ، وأطلق النيران كالسيل ..

وسقط ثلاثة من طاقمى الدبابتين على الفور ، وشعر (خالد) برصاصة تخترق ساقه اليمنى ، ولكنه واصل إطلاق النار ، وأسقط الجندى ، وشخصًا آخر من طاقمى الدبابتين ، فى حين نجح الباقون فى الوصول إلى أماكنهم .. أحدهم فى دبابة ، والثلاثة الآخرون فى الدبابة الثانية ..

وتحرَّكت الدبابتان فى حزم ، وراح مدفعاهما يتجهان نحو (خالد) ، فوثب إلى السيارة ، وهتف :

ـ هيا .. دعونا نعبث معًا بعض الوقت .

أدار محرِّك السيارة ، وانطلق بها فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها أحد المدفعين ، وانفجرت قنبلة على مسافة مترين من السيارة ، التى وثبت إلى الأمام ، وتردَّد صوت ارتطام الشظايا بها على نحو مخيف ..

وكان فى استطاعة (خالد) أن ينطلق بالسيارة هاربًا ، ولكنه كان يخشى أن يفعل هذا ، فيتخلَّى عن رفاقه ، إذا ما كانوا قد نجحوا فى مهمتهم ، وصعدوا إلى أعلى ..

وفى ساعته ، كانت العقارب تشير إلى الواحدة إلا أربع دقائق فحسب ، عندما رأى (محمد) يقفز خارج فتحة التهوية الرئيسية ، ويندفع نحوه ، فصاح به :

ـ أسرع يا رجل .. أسرع .

انفجرت قنبلة أخرى ، كادت تقلب السيارة على جانبها ، ولكنه سيطر عليها فى قوة ، حتى وثب (محمد) داخل السيارة ، فسأله :

ـ أين (عمرو) و (راوية) ؟

أجابه (محمد) لاهثًا :

ـ لقد استشهدا .

صاح به :

ـ وماذا عن القنبلة ؟

أجاب (محمد) :

ـ ستنفجر فى موعدها بإذن الله .

لم يكد (خالد) يسمع هذا الجواب ، حتى أدار عجلة القيادة فى حدة ، وانطلق بالسيارة نحو البوَّابة ..

ومن خلفهما دوى انفجاران متعاقبان ، ولكن السيارة اخترقت البوّابة ، واندفعت فوق رمال الصحراء ، و (خالد) يهتف :

ـ أأنت واثق من أنك قد أديت المهمة على أكمل وجه ؟

تطلّع (محمد) إلى ساعته ، قبل أن يجيب :

ـ ثوان وتتأكّد من هذا .. لقد أخفيت المتفجرات جيدًا .

كان (خالد) ينطلق بالسيارة بأقصى سرعتها ، فى اتجاه الغرب ، عندما صك مسامعهما صوت انفجار مكتوم ، فتنهّد (محمد) فى ارتياح ، وغمغم :

ـ الآن لم يعد وجود المحطة (عاين) يعنى الكثير .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ظهرت هليوكوبتر حربية إسرائيلية بغتة فى السماء ، واندفعت نحوهما فى شراسة واضحة ، فصاح (محمد) فى (خالد) :

ـ أسرع يا رجل .. أسرع .

وعلى الرغم من آلام ساقه اليمنى المصابة ، اندفع (خالد) بالسيارة فوق رمال (سيناء) ، وصاح (جاكوب ليومى) ، الذى يقود الهليوكوبتر بنفسه :

ـ اللعنة !.. من الواضح أننى قد وصلت بعد فوات الأوان ، ولكن هذين المصريين لن ينجحا فى الفرار منى قط .

وضغط زر المدفع الآلى ، فانهمرت الرصاصات على السيارة كالمطر ، وهتف (خالد) :

ـ هذا الوغد يمكنه اصطيادنا بكل سهولة .

اختطف (محمد) المدفع الآلى ، وهو يهتف :

ـ دعنا نجعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة له .

وأطلق رصاصاته نحو الهليوكوبتر فى غزارة ، ولكن (جاكوب) انخفض بها فى سرعة ، متجاوزًا الرصاصات ، وهو يقول ساخرًا :

ـ حاول أيها المصرى .. حاول .. ولكنك لن تهزم ضابط مخابرات إسرائيليًا قط .

ثم أطلق رصاصات مدفع الهليوكوبتر مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، أطلق (خالد) صرخة ألم عنيفة ، وانحرفت السيارة فى حدة ، فصاح (محمد) :

ـ احترس يا رجل .

ولكن السيارة ارتطمت بالرمال ، وانقلبت رأسًا على عقب ، وأثارت حولها عاصفة عنيفة ، أخفتها عن أنظار (جاكوب) ، الذى اقترب بالهليوكوبتر ، وانخفض بها ، قائلًا :

ـ من الواضح أننى أصبتهما ، وعندما تنقشع الرمال ، سأرى بنفسى أننى ..

وبتر عبارته ، عندما برز (محمد) بغتة من وسط عاصفة الرمال ، والدماء تسيل من جرح فى جبهته ، واندفع نحو الهليوكوبتر ، ثم ألقى نحوها شيئًا ما ..

ولم ينتبه (جاكوب) إلى طبيعة ذلك الشىء ، حتى سقط إلى جوار مقعده ، فاتسعت عيناه ، وصرخ :

ـ قنبلة .

وبحركة غريزية ، جذب ذراع القيادة نحوه ، فارتفعت الهليوكوبتر فى حدة ، و ...

ودوى انفجارها عنيفًا ..

وقبل أن يتلاشى دوى الانفجار ، اندفع (محمد) نحو السيارة ، وانتزع من أسفلها جسد (خالد) ، وهو يقول :

- تماسك يا صديقى .. سأبذل ما بوسعى لإنقاذك .

كانت الدماء تغرق وجه (خالد) وصدره ، وتتناثر من بين شفتيه الشاحبتين ، وهو يشير بيده مغمغمًا بصوت مختنق :

- اتجه إلى الغرب مباشرة .. سيلتقطونك من هناك .

قال (محمد) فى دهشة :

- الغرب ؟!.. هذا يقودنى مباشرة إلى خط (بارليف) .

تمتم (خالد) .

- أعلم هذا .

ثم أطلق شهقة مكتومة ، تفجّرت بعدها الدماء من فمه ، قبل أن يسلم الروح ..

واغرورقت عينا (محمد) بالدموع ، وهو يدفن جثة آخر زملائه ، ثم حمل المدفع الآلى ، وبدأ تحرّكه نحو الغرب ..

ثم كان ذلك الانفجار ..

انفجار عنيف ، على مسافة عشرة أمتار خلفه ، جعله يندفع إلى الأمام ، ويسقط على وجهه ، فوق رمال (سيناء) ..

وعندما استدار ، ليلقى نظرة خلفه ، كاد قلبه يتوقف من شدة المفاجأة ..

لقد فقدت إحدى الدبابتين جنزيرها ، عندما انفجرت فيه القنبلة المغنطيسية ، التى وضعها (خالد) ، ولكن الثانية خرجت تسعى للثأر ..

وها هى ذى تندفع نحو (محمد) ، عبر صحراء (سيناء) ..

وقفز (محمد) واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو فوق الرمال ، ولكن قنبلة أخرى انفجرت خلفه ، على مسافة ستة أمتار فحسب ، فألقته إلى الأمام فى عنف ، وسقط على وجهه مرة ثانية ..

وفى صعوبة ، وعلى الرغم من الآلام والشظايا الصغيرة ، التى تملأ ظهره وذراعيه ، نهض (محمد) ، وعاد يعدو ..

وفى هذه المرة تبعته الدبابة فحسب ، دون أن تطلق عليه نيرانها ، وكأنها تدخر ذخيرتها للّحظة المناسبة ..

لحظة القضاء عليه نهائيًا ..

ولم يدر (محمد) كم استغرقت هذه المطاردة بالضبط ..

لقد بدا له الأمر كدهر كامل ، وهو يسير فوق الرمال المحرقة ، والشمس تلهب جراحه ، وجسده كله مغطى بالدماء ..

ولكنه أخيرًا لم يعد يحتمل ..

لقد تهاوت قدماه ، وسقط جسده كله أرضًا ..

وهنا تقدّمت الدبابة الإسرائيلية ، ورآها تتوقف على مدى يصلح لتحريك مدفعها ، الذى انخفض فى بطء ، حتى أصبح مصوّبًا إليه مباشرة ..

ولهث (محمد) من فرط التعب والانفعال والتوتر ، وقد أدرك أن الإسرائيليين قرروا نسفه بقنبلة مباشرة ، فأغلق عينيه ، وتمتم :

- أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله .

لم يكد ينطقها حتى علا صوت كهدير الشلالات فى السماء ، ودوى انفجار عنيف ، شعر به (محمد) على قيد أمتار منه ، ففتح عينيه

فى دهشة ، ورأى الدبابة الإسرائيلية محطّمة ، ومدفعها محترق أرضًا ، وسرب من المقاتلات المصرية يعبر فوق رأسه مباشرة ..

كانت عقارب ساعته تشير إلى تمام الثانية بعد الظهر ، من يوم السادس من أكتوبر ، عام ١٩٧٣ ، وانتفضت كل قطرة دم فى عروقه ، فى فرح وفخر وسعادة وحماس ، ففى تلك اللحظة بالذات ، وعلى طول (قناة السويس) ، كانت طائراتنا تعبر ذلك الخط ، الذى وقف فى مواجهتها لست سنوات كاملة ..

خط (بارليف) ..

وخط الهزيمة ..

لحظتها فقط ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى (محمد) ، وترك جسده يسترخى على رمال (سيناء) ، وقد أدرك أن العملية قد انتهت بنجاح تام ..

عملية (صقر) .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

المرأة مشكلة .. صنعها الرجل

(دراسة)

من المؤكّد أن بدايتنا لم تكن أبدًا تقليدية ..

فلأوّل مرة ـ على قدر علمى ـ يبدأ عمل أدبى ما بطرح فكرته على مجموع القرّاء ، واستقصاء آرائهم ، قبل البدء فعليًا فى وضع الكتاب ..

ولكنها تجربة جديدة ..

وأنا أعشق كل جديد ..

والسؤال الذى طرحه العديد من الأصدقاء ، هو : لماذا فكّرت فى وضع كتاب عن هذا الأمر ، الذى يختلف كثيرًا ، فى موضوعه وفكرته ، عن معظم كتاباتى السابقة ؟!..

بل وما الذى يعنيه هذا العنوان ، المرأة مشكلة .. صنعها الرجل ، ؟!..

والجواب على السؤالين ليس عسيرًا فى الواقع ، فمنذ سنوات عديدة ، بدأت العلاقة بين الرجل والمرأة تجذب انتباهى ، فى مجتمعنا

المعاصر ، ولاحظت أنها لم تعد تتوافق ، أو حتى تتشابه من بعيد ، مع ما أمرنا به الله (سبحانه وتعالى) ، وما أشار إليه من المودّة والرحمة ..

لقد أصبحت هذه العلاقة ـ فى معظم الأحيان ـ علاقة حذر ، وتحرّش ، وتحفّز ..

أصبحت علاقة عصبية ، عنيفة ، متوترة ..

علاقة أشبه بما كانت عليه الأمور بين القوتين العظميين فيما سبق ، (أمريكا) و (الاتحاد السوفيتى) ..

الزوج يفترض دائمًا أن زوجته تسعى لإحباطه ، وهى تتهمه بأنه يعتبرها مجرّد خادمة ، وليست شريكة حياة ، والفتاة تحب ، فتبدأ فى إقامة أسوار شائكة حول من تحب ، وتحاسبه فى شراسة ، وهو يتعامل معها فى صرامة وعنف ، وكل منهما يدّعى أن هذه هى الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ بمن يحب ، وضمان عدم تأثير الآخرين عليه ..

بدأت عبارات عجيبة تتردّد على لسان الطرفين ، وبدأ كل منهما يتحدّث أكثر عن الكرامة ، والهيبة ، والكيان ، والشخصية فحسب ..

لم تعد هناك لمسة رقيقة أو رومانسية فى علاقة جميلة ، يفترض فيها أن تمنح الطرفين كل الراحة والمودّة والحب ..

وكانت المرأة فى معظم الأحيان هى الطرف المتمرّد ، العنيد ..

الطرف الذى يقاتل فى استماتة ، وكان كيانه كل يتعلّق بالفوز فى معركة ، لم يكن لها وجود فعلى من قبل ..

وقبل أن يتسرّع البعض ، ويتهمنى بالتحيّز للرجل ، وبالتعنت مع

الجنس اللطيف ، وتحميله كل أسباب المشكلة ، دعونى أحلكم بسرعة إلى العنوان ..

« المرأة مشكلة .. صنعها الرجل ... »

والواقع أيها الأصدقاء ، أنه لو كان هذا الكتاب مجرّد هجوم على المرأة ، لما كان هناك داع لكتابته وإصراره ..

ولو كان هجومًا على الرجل ، لتشابه كثيرًا مع كتب ومؤلفات أخرى ، يحمل معظمها توقيع بعض الكاتبات الثوريات ..

وهو أيضًا ليس تنفيسًا عن عقدة داخلية ..

إنه ـ وبكل بساطة ـ محاولة متواضعة لتقييم الأمور بشكل علمى عملى ، وتحليل ذلك الموقف ، الذى أدى فى النهاية إلى ذلك الاضطراب غير الطبيعى ، فى علاقة المرأة بالرجل ..

إننى أعترف فى البداية أن المرأة مشكلة بالنسبة للرجل ..

ولكن لماذا ؟..

لماذا أصبحت المرأة مشكلة ؟..

وكيف ؟..

ما العوامل المسئولة عن هذا ؟!..

وبعد تفكير عميق ، تبين لى أن المسئول عن كل هذا هو الرجل نفسه ..

هو الذى صنع المشكلة ..

وهو الذى يدفع ثمنها فى النهاية ..
أما تفاصيل هذا القول، فهو ما ستتضمّنه فصول الكتاب ..
ولكننا بدأنا بداية غير تقليدية ..
وسنواصل معًا هذه التجربة الجديدة ..
ولأوّل مرة أيضًا سأبدأ بطرح الآراء والرسائل، التى وصلتنى حول هذه القضية، ثم نبدأ معًا فصول الكتاب ..
فإلى لقاء قريب ..

★ ★ ★

كم تمنيت، وأنا أقرأ خطاباتكم وآراءكم، حول هذا الموضوع، أن تكون لدى مساحة كافية، لنشر خطاباتكم بأكملها، ولكننى لا أمتلك هذه المساحة للأسف، التى تحتاج إلى مجلد ضخم، يفوق مساحة الكتاب الواحد من (كوكتيل ٢٠٠٠) أربع مرات على الأقل ..
لذا فسأضطر إلى الاكتفاء ببعض الفقرات، التى وردت فى الرسائل ..
وأتعشم أن يكون هذا مناسبًا ..

★ ★ ★

* «ولقد ذكرت أن المرأة مشكلة، وأن أحدًا لا يفهمها، ولكنها مظلومة، حتى ولو كانت ظالمة فى بعض الأحيان؛ لأن هذا يرجع إلى شعورها بالظلم والاضطهاد، فى عصر يفترض فيه أنه عصر الحريات..».

إبراهيم يحيى سعد ـ دبلوم فنى تجارى.

* «.. وللمرأة حقها فى أن تعمل فيما يناسب طبيعتها، كالتدريس أو الطب، إذا ما دعت الضرورة إلى هذا؟ لأن مملكة المرأة

الحقيقية هى بيتها، وسعادتها فى بيت زوجها، وعندما نلتزم بتعاليم الإسلام السامية، لن تصبح هناك مشكلة بين الرجل والمرأة، بل سيصبح هناك، وُدّ، وتفاهم، وحب، وسعادة..».

أحمد إبراهيم مصطفى الجريدى ـ الإمارات ـ أبو ظبى

* «.. قد يتزوّج الرجل عن حب، وكذلك المرأة، وعلى الرغم من هذا لا تستمر العلاقة الزوجية طويلًا، مما يضطرهما إلى الانفصال، ولا نبالغ لو قلنا إن المرأة هى المسئولة عن هذا فى معظم الأحيان، بسلوكها داخل المنزل، وتصرّفها مع الرجل، ولكن هذا لا يعفى الرجل من بعض المسئولية..».

محمد محمود عطا الخولى ـ كفر الشيخ.

* «.. وبدأت المرأة تسترجع القديم والحاضر، ونمت فى عقلها فكرة تقول: «لماذا لا أحصل على حقى، بعد كل هذا العذاب»؟ ولكن روح الانتقام داخلها أخذت تكبر وتكبر معها مطالبها من الحرية، حتى وصلت إلى ما نحن عليه الآن، من تقليد ملبس الرجل، وحتى أسلوبه فى تصفيف شعره، وهنا يكمن الخطأ..».

هناء مصطفى عوض ـ السويس.

* «.. فى البداية عبّرت المرأة عن رغبتها فى الاستقلال، من خلال سعيها لاحتلال مكان الرجل، ثم عادت تطالبه باحتلال مكانها، ونسيت أن الله (سبحانه وتعالى) خلقها لدور لا ينافسها فيه سواها، ومن الطبيعى بعدها أن يشكو الرجل من المرأة، وأن تثور المرأة على الرجل، وتصل العلاقة بينهما إلى مفترق الطرق..».

أحمد عصمت مصطفى عمر ـ القاهرة ـ النزهة الجديدة.

* «.. أصبحت أومن بأن الله (سبحانه وتعالى) خلق المرأة ، وكرّمها بكونها ربة أسرة .. صحيح أن لها حق الاختيار ، فى أن تجاهد لتصبح شخصية مرموقة ، ولكن عليها أوّلًا أن تسأل نفسها : هل يكون هذا على حساب أسرتها أم لا ؟ ولو شعرت بأنها ستضطر إلى إهمال أسرتها ، ولو بنسبة ١ ٪ ، فعليها أن تنسحب من عملها على الفور ..» .

الأخت أ.ر. ـ دولة الإمارات العربية .

* «.. موضوع المرأة شائك بحق ، وسيادتك تقول إن الرجل هو سبب المشكلة ، ولكننى أرى غير هذا ولدى أسبابى : أوّلًا : خُلقت المرأة من ضلع أعوج ، وأعوج ما فى الضلع أعلاه ، وثانيًا : النساء ناقصات عقل ودين ، وثالثًا : هناك حديث نبوى (لست أنكر نصه) ، يقول ، إن هناك الكثيرين من الرجال الكُمّل ، ولكن لم يكمل من النساء سوى أربع .. امرأة فرعون (ولا أنكر اسمها) ، و (مريم بنت عمران) ، و (خديجة بنت خويلد) ، و (فاطمة بنت محمد) ..» .

أحمد عيد شلبى محمد ـ الإسكندرية .

* «.. ولو اعتقدت المرأة أن مسئولياتها تجاه زوجها وأسرتها تحط من قدرها ، فهى مخطئة تمامًا ، لأنها ينبغى أن تفخر برسالتها هذه ، التى لولاها لتفكّكت الأسرة ، وانهار المجتمع ، وفسد الكيان كله ..» .

أبو اليزيد إبراهيم أبو اليزيد ـ بركة السبع .

* «.. واستغلّ الرجل سلطاته على نحو غير سليم ، وبالغ فى التعنت مع زوجته ، وفى القسوة والعنف معها ، بحجة الحفاظ على كرامته وكرامتها ، فترك داخلها شعورًا بالظلم والغضب والاضطهاد ، وكادت تختنق فى سجنه الصارم ، عاجزة عن تحطيم جدرانه ، حتى جاء اليوم الذى ثارت فيه عليه ، وطالبت بحقوقها وحريتها ..» .

عمرو محمد فرج السيد ـ القاهرة ـ مصر القديمة .

* «.. ودون الخوض فى أسباب شائكة وعديدة ، سوف يطرحها القراء ، فإننى أجد أن للمشكلة سببًا واحدًا رئيسيًا ، ألا وهو انحراف المجتمع عن المنهج الربّانى ، الذى وضعه خالق الكون ، والاتجاه إلى مناهج أخرى ، غربية أو نظرية ..» .

فراس عبدالعزيز عالم

كلية الطب ـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة .

★ ★ ★

* خطابان فقط ، لم أستطع الاكتفاء بنشر جزء منهما فحسب ، وجذبنى أسلوبهما ، حتى أننى رأيت ضرورة أن يشاركنى القرّاء ما جاء بهما ، وهما خطاب (م. ع. ع ـ ١٦ عامًا) ، الذى لم يكتب اسمه للأسف ، وخطاب الصديقة (وفاء رأفت على) من (مصر الجديدة) ، فدعونا نطالعهما معًا .

★ ★ ★

(١)

نعم المرأة مشكلة ..

ونعم نحن الرجال صنعناها ..

ربما يتساءل بعض الرجال كيف ؟ أو ربما يحاول البعض الآخر نفى مسئوليته عن هذه المشكلة .

فالمرأة منذ الأزل تعانى نفس المشكلة . ألا وهى الشعور بعدم المساواة بالرجل .

وستظل أبدًا تشعر بهذا الشعور مهما نالت من حرية ، ومهما بلغت من مناصب ، ومهما انتزعت من سلطات من يد الرجل ، ستظل فى أعماقها تشعر بأنها مظلومة .

فالمرأة فى عصرنا هذا تنقسم إلى قسمين :

ـ القسمان يتفقان فى الدافع ، وهو الشعور بعدم الأمان وعدم المساواة ، الشعور بالظلم والقهر ، ولكنهما يختلفان فى رد الفعل .

فالقسم الأول يستسلم ويشعر بأنه لا يستطيع تغيير أى شىء مما حوله ، فيفضل البقاء تحت سيطرة الرجل وحمايته فى نفس الوقت ؛ لأنه فى قرارة نفسه يشعر بضعفه الأنثوى وعدم قدرته على التعامل مع الحياة بمفرده ، وهو القسم الأقل انتشارًا الآن .

أما القسم الآخر ، فتتولد داخله طاقة متمردة ، وغضب مكبوت ينجم عنه رفضه لأنوثته وانسلاخه عن جنسه ، لأنه فى رأيه السبب فيما يواجهه فى حياته من سيطرة رجالية على المجتمع ويدفعه إلى محاولة التشبه بالجنس الذى يسيطر على مجريات الأمور ، ولكنه بهذا يتنازل عن حقوق أخرى .

فإذا أصبحت المرأة متساوية معى كرجل ، وغير محتاجة لوجودى ، فلماذا أقف مثلًا لأدع امرأة تجلس مكانى ، أو لماذا أدعها تمر أمامى أولًا . والكثير من تلك الحقوق المكتسبة ، لكونها امرأة ضعيفة ، والتى تفقدها بمحاولتها للتشبه بالرجل .

ولكن القسمين ضحية معاملة الرجل شئنا أم أبينا .

ولكن من هى المرأة ـ المشكلة ـ فهى نصف المخلوقات على وجه البسيطة ، فهى الأم ، والأخت ، والصديقة ، والزوجة ، والابنة .

هى نصف حياتنا ..

ومعظم مشكلاتنا ..

م. ع. ع. (١٦ عامًا)

(٢)

أستاذى العزيز د. نبيل فاروق ..

بعد التحية والسلام ..

لقد ذكّرتنى كلمات سيادتكم فى الدراسة الأخيرة ، المرأة مشكلة صنعها الرجل ، بمناظرة قمت بكتابتها تحمل رأيى الذى لن أحيد عنه .. تحمل احترامى للرجل ومقتى للظروف التى تكبل يدىّ ، ومعى كل امرأة شرقية تبحث عن حريتها المشروعة ..

ها هى كلماتى ..

ها هو اتجاهى ..

* من أنت كى أحادثك ؟ من تكون كى أصدقك ؟

ـ رب البيت ... سيد قومه ... حامى بلاده ...

* أنسيت (جهاد) التى بالسيف عانقت صفوف العدو ، وبيسراها لواء الإسلام !؟؟

ـ لم أنس ولكنها كانت واحدة ..

* واحدة !؟ أين ذهبت عيناك ؟ بمَ هام ناظراك ؟ أين أذناك كى ترهف السمع ؟!

ـ البقاء للأقوى والرجال قوامون على النساء ..

* أنت عنيد مكابر ..

ـ بل أنتِ تتعاملين بصلف وتجبر .

* إلى مَ ترمى ؟

ـ إلى حيث الطاقة ... سأبقى أنا الأقوى ، أما أنتِ فستبقين الأضعف .

من قال هذا ؟.. إن ما أقوله ما هو بمنطق امرأة شرسة ولا فتاة طائشة ، إنما هو مجتمع نسائى يطالب بحقوقه .

لقد استوليت على حق الدفاع عن الوطن .. فأنت تجند ..

استوليت على حق القضاء على الجريمة فأنت ساهر على راحة الآخرين فى زى الضابط .. لِمَ لا تترك أيها الرجل للنساء السبيل لتحقيق أهدافهن .. إننا نستهدف المعاونة فى البناء لا الجدل فيما لا طائل له ..

ـ أوقفى هذا التحدى السافر واسمعينى ..

* لا .. لن أدع لك الفرصة لإخضاعى من جديد ..

ـ ربة البيت الناجحة هى أفضل للرجل من المرأة العاملة ..

* لِمَ لا تزيد على ذلك فتقول إنه من الأفضل ألا تنال المرأة من التعليم شيئًا لتحيا فى غياهب الجهل والتخلف فتزداد أنت سلطانًا ..

ـ أتسخرين منى أم تريدين استفزازى ؟؟

* قل ما شئت ولكن المرأة ستظل تبحث عن النور ، ولن تنال من أقاويلك تلك ما تصبو إليه ، فأنت بذلك تقترح إلقاءها فى بئر من الظلمات ، بل هو بحر الظلمات الذى لا شاطئ له .. حيث لا نجاة ولا عودة ..

ـ أديرى على .. نعم أديرى على .. فقد أكون قد نسيت مِمَ خلقت ..

* لقد نسيت أنا الأخرى .. وإن كانت فى طىّ الذاكرة لما لجأت إليها .. فكم أنت خبيث !!

ـ لقد خلقت حواء من ضلع من ضلوع آ..

* ماذا تعنى ؟؟

ـ أعنى أنه بدون ذلك الجسد الذى خلقت منه لما وجدتك على وجه البسيطة ..

* ويحى .. أين ذهب عقلك !؟ هل خبا وميضه الذى طالما كنت أعجب به ؟؟

ـ مايزال كلّ فى مكمنه ، فأنت من يتمرد على قوانين الحياة لا أنا ..

* أتمرد !؟؟.. ما هو مفهوم التمرد لديك ؟

ـ التعدى ..

* أنا لا أتعدى .. فما أنا بفاعلة إياه ، إنما هو التحدى ..

ـ أأنت واثقة من أن تلك النبرات هى نبرات صوت أنثوى ؟.. إن تلك الكلمات تنبع من غريزة من تملك خصلات تنسدل على كتفيها ؟؟

* قل ما يخلو لك فهى غريزة البقاء ولا تفسير آخر لدى ..

ـ أيعنى هذا أنه قد انسدل الستار على هذا النقاش ؟

* لا ليس بعد .. أتريد التهرب ؟؟

ـ من .. أنا !؟؟ إنه لعار علىّ أن أفعل ..

* ألا ترى فيما تقول الأنانية ؟ فأنت لا تريد التخلى عن حقوقك ، ومع ذلك تطالبنى بالتخلى عن كل ما أملك من حقوق ، وعما ما أزال أبحث عنه من حقوق لم تصلنى بعد !!

ـ لا صلة بين هذا وذاك .. إنه الوضع منذ القِدَم .

* أترانا ما نزال نعيش فى البادية نحتمى وراء القباب الواقية خشيةً من بطش الأعداء !؟.. لقد تغيرت الحياة كثيرًا .. أما أنت فلا تريد أن تتغير ..

ـ أيعنى هذا أنى لا أواكب عصر الذرة وغزو الفضاء ؟؟

* لم يكن هذا هو مقصدى ، فأنت مخترع هذه الأجهزة ، وتلك الشاشات ..

ـ وبعد ..

* الفهم .. افهمنى أفهمك .. امنحنى الفرصة كى أثبت قدراتى ..

ـ أهذا هو كل ما لديك ؟ ها هى الفرصة أمنحك إياها ، فأرينى ما أنت فاعلة بها ..

* نعم .. سترى .. سترى ولن تندم أبدًا ، فستكون مدينتنا ذات طرقات ممهدة ، ومحال مضيئة ، ودور فسيحة ..

ـ لنر .. فها أنا منتظر .. سأمهلك ردحًا من الدهر .

* ها قد عدنا إلى السخرية من جديد ..

ـ إنها ليست سخرية .. حسن .. سنعمل معًا ، ولنر العاقبة .

وهنا ارتفعت السبابة وخيم السكون ، وباتت الأيدى متعانقة والقلوب متوثبة ..

لكل بداية نهاية .. وهكذا خطابى ، فقد بدأ بكلماتى ، وها هو ينتهى بكلماتى أيضًا ..

من بين قرانك وفاء رأفت على ـ مصر الجديدة

★ ★ ★

وهكذا تنتهى كل الخطابات ، التى وصلت إلى المؤسسة ، حتى لحظة طبع هذا الكتاب ، وفى الكتاب القادم من سلسلة (كوكتيل ٢٠٠٠) ، أعدكم بأن أفرد مساحة أكبر ، لنشر كل أو معظم ما يصلنا

من رسائلكم واقتراحاتكم فى هذا الشأن ، ثم نتابع معًا فصول الكتاب اعتبارًا من الكتاب بعد القادم ..

وحتى ذلك الحين ..

إلى اللقاء ..

★ ★ ★

كوكتيل ٢٠٠٠
روايات مصرية للجيب
قصة العدد

ضيف النجوم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ منزل جديد ..

الخميس / ٢٨ يونيو ..

صديقى العزيز / محمد ..

بعد التحية ..

أرسل إليك خطابى الأوّل من المزرعة الجديدة، فى صحراء (مصر) الغربية .. بعد أن انتقلت للعيش فيها اليوم فقط، أنا وابنتى الوحيدة (هبة)، فور أن تسلمناها رسميًا من هيئة المجتمعات الزراعية الجديدة واستصلاح الأراضى .. وأنت تعلم يا صديقى العزيز كم عانينا الأمرّين للحصول على هذا المكان، منذ قرأنا مغا ذلك الإعلان، الذى نشرته جريدة (الأهرام) منذ ما يقرب من عام كامل، والذى أعلنت فيه الدولة، أنها ستمنح كل خريج، من خريجى كليات الزراعة، أرضًا جديدة لاستصلاحها، فى الصحراء الغربية وصحراء (سيناء) .. يومها تقدّمنا ـ أنت وأنا ـ بكل حماس الشباب، الذى يجرى فى عروقنا، بطلبين للحصول على الأرض الصحراوية ..

ثم بدأت رحلة العذاب ..

عشرات الطلبات والتمغات، والتوقيعات، وقائمة طويلة من الشهادات والأوراق المطلوبة، ثم الذهاب يوميًا إلى الهيئة، ومتابعة ما تم إنجازه، حتى أننى ما زلت أذكر دعابتك الساخرة العصبية أيامها، عندما قلت: إنهم ـ تقريبًا ـ يختبرون قوة احتمال المتقدمين، فمن لا يسقط حتى النهاية، يستحق النفى إلى الصحراء ..

وبالمناسبة، لقد تذكّرت كلمة النفى هذه، عندما وصلت إلى هنا ..

أنت تعلم أننى كنت أقيم فى شقق مفروشة مختلفة، منذ أن توفيت زوجتى الحبيبة (رحمها الله) وتركت لى ابنتنا (هبة)، وكانت ـ حينذاك ـ فى الثالثة من عمرها، وعندما حصلت على الموافقات اللازمة، لاستلام قطعة الأرض الصحراوية، أنهيت عقد آخر شقة مفروشة، وأنفقت جزءًا كبيرًا من مدخراتى، لشراء سيارة (جيب)، تصلح للعمل فى المكان، ثم ابتعت بعض المواد التموينية، وحملت (هبة) مع كلبها الصغير (ميكى)، وانطلقت على الفور إلى هنا، ولم أكد أصل إلى المكان، بعد أن ضللت طريقى ثلاث مرات، حتى أصابتنى صدمة، وشعرت بأننى فى المنفى بالفعل ..

صحيح أن المكان عبارة عن مائة فدان، يتوسّطها منزل من طابق واحد، أطلقوا عليه فى الهيئة اسم (الفيلا) زورًا وبهتانًا، وهناك مبنى آخر، المفروض أن يستخدم كمخزن للغلال فيما بعد، وبئر قديمة، وطلمبة مياه، ولكن لا تدع هذه الأشياء ترسم فى خيالك صورة وردية، فكل ما ستراه من حولك، فيما عدا هذا، هو الصحراء ..

فقط الصحراء، وكأن العالم كله قد خلا من سكانه، ولم يعد هناك سواك ..

وربما لاح لك من بعيد جدًا منزل آخر، ولكن أحدًا لم يقطن المنطقة بعد، وربما ينتظر الباقون حتى بداية الشتاء القادم، عندما يتحسن الطقس، وتنخفض درجة الحرارة، ثم يلقون بأنفسهم هنا، وربما كانوا على حق، فدرجة الحرارة هنا لا تحتمل، ولكننى مضطر للحضور فى هذا الموعد كما تعلم، حتى يمكننى تحديد ما إذا كنت سأنجح فى البقاء، وفى استصلاح تلك الصحراء أم لا، قبل موعد بدء الدراسة، وإلا خسرت (هبة) عامًا من عمرها بلا مبرّر ..

والواقع يا صديقى العزيز أننى كنت أتوقع أن تعترض (هبة) بالذات على قدومنا إلى هنا ، وأن تحزن وتبتئس ، وكان هذا يقلقنى بشدة ، ولكنها - وهذا العجيب - سعيدة للغاية بالمنزل الجديد ، وبالمساحات الشاسعة من حوله ، وهى تجرى وتلهو مع (ميكى) على الرغم من أن الشمس على وشك الغروب ، وسأضطر إلى إقناعها بالنوم ، حتى يمكننا توفير وقود المولد الكهربى ، الذى أحضرته معى ، فهنا يا صديقى ، وحتى ينتهى العمل فى محطة توليد الكهرباء الجديدة ، لابد أن تعتمد على إمكاناتك الشخصية ، لتحيا كآدمى عادى ..

وأخيرًا ، لك تحياتى من قلب الصحراء ، وأتمنى أن تنتهى من أوراقك فى القريب العاجل ، لتصبح جارى فى المنطقة ، وسلامى وتحياتى للجميع ، وسأحاول إرسال هذا الخطاب فى أوّل فرصة ، أذهب فيها إلى (مديرية التحرير) ؟

صديقك
(خالد)

★ ★ ★

تنهّد (خالد) فى عمق ، وهو ينهى خطابه ، وطواه فى عناية ، ووضعه داخل مظروف أبيض ، خطّ عليه عنوان صديقه ، ثم وضعه فوق مكتبه ، ونهض ينادى ابنته ، هاتفًا :

- (هبة) .. حان موعد تناول العشاء .

لم تسمعه الصغيرة للوهلة الأولى ، وهى تعدو مع كلبها نحو البئر القديمة ، فابتسم فى حنان ، ووقف يتأمّلها على ضوء الغروب ، وقد

بدت الشمس من خلفها كقرص أحمر كبير ، التهم الأفق قضمة كبيرة منه ، وراح يبتلعه فى بطء ، وهو يحجب بعضه بسحب داكنة ..

وعلى الرغم من عدم ارتياحه لقضاء الليل فى الصحراء ، بدا له المشهد رائعًا ، يبعث فى النفس نشوة خاصة ، ويسحر القلب على نحو عجيب ..

وفى صعوبة ، انتزع نفسه من انبهاره ونشوته ، وهتف مرة أخرى :

- (هبة) .. الشمس تغرب .

التفتت إليه الصغيرة ، وهتفت متبرّمة :

- ما زال هناك بعض الوقت .. أريد أن ألعب مع (ميكى) .

ابتسم وهو يقول :

- ستلعبين معه كثيرًا ، حتى يصيبك الملل منه ، فى الأيام القادمة ، فلن تجدى وسيلة تسلية أخرى ..

مطّت شفتيها فى غضب ، ولوّحت بذراعيها الصغيرتين ، ولكنها أطاعته ، وعادت إلى المنزل ، وخلفها (ميكى) بقامته التى تكاد تبلغ ارتفاعها ، وفتح (خالد) ذراعيه عن آخرهما لاستقبال ابنته ، واستعد ليطبع قبلة حانية على وجنتها ، و ...

وفجأة ، توقّف (ميكى) على نحو عجيب ، وانتصبت أذناه فى حدة ، وراح يزمجر فى خفوت ، فالتفتت إليه (هبة) ، وقالت :

- لا تفعل هذا يا (ميكى) .. أنت تخيفنى .

ولكن (ميكى) استدار يتطلّع إلى البئر القديمة فى توتر ، وأطلق زمجرة أخرى خافتة ، فهتفت (هبة) بوالدها :

- أبى .. قل له : ألا يفعل هذا !

تطلّع (خالد) فى حيرة إلى البئر ، وتساءل : هل يشعر (ميكى) بوجود حيوان ما هناك ، أم ...

لم يجد ما يتمّ به تساؤله ، فمحا الأمر من ذهنه بسرعة ، وقال للكلب :

ـ (ميكى) .. تعال هنا .

ولكن الكلب بدا وكأنه لم يسمعه ، وهو يستدير بجسمه كله لمواجهة البئر ، ثم راح ينبح فى عصبية ، فصاح (خالد) :

ـ قلت لك : تعال هنا .

توقّف الكلب ، وتسمّر فى موضعه ، وتحرّك ذيله فى عصبية واضحة ، ثم اندفع يعدو فجأة نحو البئر ، وهو ينبح فى قوة ، جعلت الصغيرة تتعلّق بوالدها ، هاتفة :

ـ أبى .. أبى .. قل له ألا يفعل هذا .

إلا أن (خالد) لم ينبس ببنت شفة ..

لقد تابع فى دهشة بالغة ما يفعله (ميكى) ، الذى وثب يعتلى السور الدائرى الصغير ، المحيط بفوهة البئر ، وتطلّع إلى الماء ، وأخذ ينبح فى قوة ، وهو يهزّ ذيله فى توتر ..

وفى رفق دفع (خالد) ابنته داخل المنزل ، وهو يغمغم فى حيرة :

ـ سأذهب لإحضاره .

اختفت الصغيرة داخل المنزل ، وأسرعت تتطلّع عبر النافذة إلى والدها ، وهو يتجه إلى البئر ، ويقول فى توتر :

ـ عد إلى المنزل يا (ميكى) .. أيًا كان ما تراه عندك ، فحاول أن تتجاهله ، إنه مجرّد ...

وانتفض جسده فى عنف ، قبل أن يتمّ عبارته ، وهو يحدّق فى وجه الكلب فى دهشة كبيرة ..

كانت الشمس قد اختفت تمامًا فى الأفق ، وتركت خلفها ألوان الشفق الجميلة ، ولكن أيًا منها لم يكن يصلح لصباغة وجه الكلب بذلك الضوء الأخضر الباهت ، الذى بدا واضحًا للغاية ، فى الإضاءة الخافتة ..

كان يبدو وكأنه ينبعث من مصدر إضاءة آخر ، فى قلب البئر ..

مصدر يثير أعصاب الكلب ، ويدفعه إلى النباح على هذا النحو ..

ولثوان ، تجمّد (خالد) فى موضعه ، ولم تطاوعه قدماه على قطع متر إضافى ، فى اتجاه البئر ..

ثم فجأة ، أطلق (ميكى) عواءً مفزعًا ، وتراجع إلى الخلف فى حدة وعنف ، فسقط من فوق سور البئر ، وراح يعوى فى ألم رهيب ..

عندئذ فقط ، انتزع (خالد) نفسه من دهشته ، واندفع نحو الكلب ، هاتفًا :

ـ ماذا أصابك ؟

انحنى يفحص الكلب فى سرعة ، وآلمه أن يجد كسرًا واضحًا فى قائمته الأمامية اليسرى ، فغمغم مشفقًا :

ـ يبدو أنك تحتاج إلى إسعاف سريع يا (ميكى) .

ثم عادت إلى ذهنه بغتة صورة ذلك الضوء الأخضر الباهت ، الذى انعكس من البئر على وجه الكلب ، فأدار عينيه فى قلق متوتر إلى البئر ، ثم نهض يقترب منه فى حذر ، وانحنى يلقى نظرة على قاعته ..

ولكن كل شىء هناك كان طبيعيًا للغاية ..

البئر ساكنة مظلمة ، تنبعث منها رائحة رطبة واضحة ..

وعلى الرغم من عدم اقتناعه ، تمتم (خالد) :

ـ إنه انعكاس ضوء الشمس على الجدران .

وانحنى يحمل الكلب ، ويعود به إلى المنزل ..

المنزل الجديد ..

★ ★ ★

كان كل شىء هادئًا رتيبًا ، فى محطة الدفاع الجوى فى (بنى سويف)(*) ، وجلس الملازم (حسين) مسترخيًا ، فى جحرة

(*) بنى سويف : محافظة مصرية ، تقع بين محافظتى (الجيزة) و (المنيا) ، وهى من الأقسام الإدارية الحديثة ، وأصبحت مديرية قائمة بذاتها عام ١٨٧٠ م ، ترويها ترعة (الإبراهيمية) وبحر (يوسف) ؛ عاصمتها (بنى سويف) ، ومن مدنها الكبرى (بيا) و (الواسطى) .

الرادار(*) ، يحتسى كوبًا من الشاى ، ويتطلع بين الحين والحين إلى الشاشة الخضراء ، التى تعكس ما يراقبه الرادار ، وما يدور فى سماء (مصر) ، فى تلك البقعة ، وغمغم أحد الجنود فى ضجر :

ـ ألا تشعر بالملل هنا يا سيادة الملازم ؟

ارتشف الملازم (حسين) رشفة من الشاى ، ثم هز كتفيه ، قائلًا :

ـ هذا أمر طبيعى فى أوقات السلم ، ولكن الذين عملوا هنا أيام حرب ١٩٧٣ م ، أكدوا أنهم كانوا يحلمون بدقائق من الراحة .

قال الجندى فى ملل واضح :

ـ هل ينبغى أن نشعل حربًا أخرى إذن ، لنقضى على هذا الملل ؟

ضحك الملازم (حسين) ، وقال :

ـ هكذا الحال فى الجيش دائمًا .. إما أن تشكو من كثرة العمل ، أو من عدمه ، وفى الحالتين لن تتوقف الشكوى قط ، ولن ...

بتر عبارته بغتة ، واعتدل فى حركة عنيفة ، جعلت بعض الشاى الساخن يتناثر على سترته وسرواله ، إلا أنه لم يشعر بحرارته ، وهو يحدق فى الشاشة ، هاتفًا :

ـ ما هذا ؟

(★) الرادار : جهاز يتكون من راديو لإرسال الموجة القصيرة ، وجهاز لتركيز الموجة ، وحزمة توجيه هوائية ، تستقبل الإشارة المرتدة ، بعد اصطدامها بالهدف ، وجهاز استقبال ، وشاشة من أنبوب (كاثود) ، وهو يستخدم لكشف الأشياء البعيدة والمتحركة فى السماء ، ولقد تم استخدامه لأول مرة فى الحرب العالمية الثانية ، ومن أشهر من أسهموا فى اختراعه سير (روبرت واطسون) (١٩٣٤ ـ ١٩٣٥) .

وثب الجندى من مقعده ، وحدّق فى شاشة الرادار بدوره ، وهو يسأل فى ارتباك شديد :

ـ ماذا هناك يا سيادة الملازم ؟

أشار الملازم (حسين) إلى نقطة تتحرّك على شاشة الرادار ، وقال فى توتر :

ـ إنه جسم صغير ، يأتى من الجنوب الشرقى ، على ارتفاع كبير ، ولكنه يتحرّك بسرعة مدهشة ، تفوق أسرع الطائرات التى نعرفها .

سأله الجندى فى توتر ، وهو يتابع النقطة ، التى بلغت منتصف الشاشة تقريبًا .

ـ ربما كانت طائرة تجسّس :

ـ هزّ الملازم (حسين) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ حتى طائرات التجسس لا يمكنها أن تبلغ هذه السرعة .. انظر .. لقد دخل ذلك الجسم مجال الرادار ، ويكاد يتجاوزه ، فى أقل من نصف الدقيقة ، وهذا يحتاج إلى سرعة مذهلة ، تبلغ عشرة أضعاف سرعة الصوت(★) على الأقل .

لم يكن الجندى يفهم بالضبط ما يعنيه هذا ، ولم يسمع فى حياته قط عن سرعة الصوت ، ولكن الانفعال الذى نطق به الملازم (حسين) عبارته الأخيرة ، جعله يهتف منزعجًا :

ـ إلى هذا الحد ؟!

(★) سرعة الصوت : المسافة التى يقطعها الصوت فى الثانية الواحدة ، وهى حوالى ١١٢٠ قدمًا .

ومع آخر حروف كلماته ، تجاوزت تلك النقطة شاشة الرادار ، وواصلت طريقها نحو الشمال الغربى ، فهتف الملازم (حسين) فى دهشة :

ـ رباه .. لقد خرجت من المجال فى سرعة رهيبة .

ثم هزّ رأسه فى قوة ، وكأنه يحاول أن ينفض عنه الدهشة ، قبل أن يستطرد :

ـ هذا مستحيل !

حدّق الجندى لحظات فى الشاشة ، ثم اعتدل ، وسأل فى حذر :

ـ سيادة الملازم .. ماذا ينبغى أن نفعل ؟

سأله (حسين) فى شىء من العصبية :

ـ ماذا تعنى ؟

أشار الجندى إلى الشاشة ، وغمغم :

ـ هل .. هل ستقدّم تقريرًا عن هذا ؟

هتف (حسين) :

ـ بالطبع .. إنه عملنا .. صحيح أننا لا ندرك طبيعة ذلك الجسم العجيب ، الذى يمكنه أن ينطلق بهذه السرعة المدهشة ، ولكن واجبنا يحتم علينا إبلاغ الرؤساء ، فمن يدرى ؟ ربما كان سلاحًا جديدًا ، أطلقته إحدى الدول الكبرى .

ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ تذكّر هذا دائمًا يا فتى .. ليس من حقنا أبدًا أن نقرّر أهمية أو عدم أهمية الأمر .. كل ما علينا هو أن نؤدى واجبنا .. واجبنا فحسب .

تمتم الجندى :

ـ بالطبع يا سيادة الملازم .. بالطبع .

وهنا أدار الملازم (حسين) قرص الهاتف ..
وأبلغ الرؤساء ..

★ ★ ★

انتهى (خالد) من تضميد ساق (ميكى)، ومسحت (هبة) دموعها فى حزن، وهى تسأل فى قلق :

ـ هل سيشفى يا أبى ؟

مسح (خالد) على شعرها الأملس الناعم، وابتسم وهو يغمغم :

ـ بإذن الله يا حبيبتى ..

بإذن الله .

نهض (ميكى) فى بطء، ورفع ساقه المصابة، وراح يتقافز بقوائمه الثلاث، فقالت له (هبة) فى فزع :

ـــ لا يا (ميكـــى) .. المفروض أن تنام .

ربّت والدها على كتفها، وقال :

ـ اتركى (ميكى) لحاله .. الكلاب تعرف كيف تعتنى بنفسها، أما أنت فأنا أعتنى بك .. هيّا .. سنذهب إلى الفراش ؛ فنحن مجهدان من طول السفر، ونحتاج إلى الراحة، كما أن مولّد الكهرباء لن يعمل طوال الوقت .. أليس كذلك ؟

قالها وحملها فى حنان، فلوّحت بيدها لكلبها، هاتفة :

ـ إلى اللقاء يا (ميكى) .. طابت ليلتك .

ثم سألت والدها فى اهتمام :

ـ لماذا لم يكن لدينا مولّد كهرباء فى (القاهرة) ؟

أرقدها فى فراشها، وهو يقول :

ـ لأن محطات توليد الكهرباء كانت تقوم بعمله، وترسل إلينا كل ما نحتاج إليه .

سألته وهو يرقد إلى جوارها :

ـ ولماذا لا تفعل هذا هنا ؟

ضحك قائلًا :

ـ اسأليها .

ثم ضمّها إليه، واستطرد وهو يتثاءب فى إرهاق :

ـ والآن هيّا .. لم أعد أستطيع مقاومة النوم .

كانا مجهدين للغاية، حتى أنه لم تمض دقائق معدودة، إلا وكان كلاهما غارقًا فى نوم عميق، فاستلقى (ميكى) أرضًا بدوره، وأغلق عينيه، و ...

وفجأة، اعتدل الكلب فى حركة حادة، وعادت أذناه تنتصبان فى تحفز، ثم أطلق زمجرة خافتة، وكأنه يخشى إيقاظ النائمين ..

والواقع أنه لو نبح حتى بكل قوته، لما أمكنه إيقاظهما، فقد كانا ينامان فى عمق شديد، من فرط التعب والإرهاق ..

ولم يستطع الكلب النوم، بل اعتدل واقفًا، معتمدًا على قوائمه الثلاث، على الرغم من قائمته المكسورة، وتحرّك ذيله فى عصبية واضحة، ثم اتجه إلى النافذة، وراح يتطلّع عبرها إلى الصحراء المظلمة فى توتر، قبل أن يتجه إلى الباب، ويدفعه بجسده فى قوة،

حتى انفتح ، فتقافز على قوائمه الثلاث السليمة ، وأدار رأسه وسط الظلام ، وكأنه يبحث عن شيء ما ، ثم استدار يتطلّع إلى نقطة ما ، فوق سطح المنزل ، وقد تضاعف توتره ، وتزايدت عصبيته فى شدة ، وراح يزمجر وينبح ..

ثم تراجع (ميكى) مذعورًا ، عندما انبعث ضوء قوى مباغت ، من جسم ما ، على ارتفاع ثلاثة أمتار من سطح المنزل ..

كان الضوء يسطع بشدة ، حتى بدا وكأنه شمس صغيرة ، وتراجع (ميكى) فى هلع ، وراح ينبح ، وينبح ، وتسلّل نباحه إلى أذنى (هبة) ، فتمتمت دون أن تفتح عينيها :

ـ توقّف عن النباح يا (ميكى) .. أريد أن أنام .

كان الضوء يغمر الحجرة ، التى تنام فيها مع والدها ، ولكن حتى هذا لم يفلح فى إيقاظهما ، ونبح (ميكى) مرتين إضافيتين ، ثم أطلق عواءً مذعورًا ، وبعدها ران الصمت تمامًا على المكان ، وخبا الضوء الساطع ، وعادت الصحراء إلى طبيعتها فى الليل ، هادئة ، ومظلمة .. ومخيفة .

★ ★ ★

٢ ـ اختفاء غامض ..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السادسة صباحًا بعد ، عندما دلفت سيارة من سيارات الجيش ، تحمل شعار القوات الجوية ، إلى مبنى الدفاع ، فى شارع (الخليفة المأمون) فى (القاهرة) ، وأدى حارسا المدخل التحية العسكرية فى احترام ، حتى تجاوزتهما السيارة ، ثم همس أحدهما لزميله :

ـ ماذا حدث ؟.. لقد وصل كل قادة القوات الجوية تقريبًا !!.. هل اندلعت الحرب ؟

أجابه زميله :

ـ لو أن هذا ما حدث لعرفنا على الفور ، ثم إنها لن تكون حربًا جوية فحسب .. من الواضح أنه هناك أمر ما ، يستحق هذا الاجتماع الطارئ ، فى السادسة صباحًا ، ثم إنه لا يخص القوات الجوية فحسب ، فقد حضر كل قادة الدفاع الجوى أيضًا .

مطّ الأوّل شفتيه فى حيرة ، وهو يغمغم :

ـ ترى ما الأمر بالضبط ؟

هزّ زميله رأسه ، وهو يجيب :

ـ لن يمكننا أن نستنتج هذا أبدًا .

ثم أدار عينيه إلى الطابق ، الذى يحوى حجرة وزير الدفاع فى المبنى ، قبل أن يغمغم مستطردًا :

ـ ولكنه بالتأكيد أمر خطير .. خطير للغاية .

لم يكن كلاهما يدرك أنه فى هذه اللحظة بالذات ، كان كل قادة

الدفاع الجوى والقوات الجوية يجلسون حول مائدة الاجتماعات، ووزير الدفاع يشير بعصاه إلى خريطة كبيرة، وهو يقول فى اهتمام بالغ :

ـ لقد تم رصد هذا الجسم الغريب فى سبع مراكز دفاع جوى ورادار، فى الليلة الماضية، منذ غروب الشمس، وحتى منتصف الليل، والمراكز التى تم رصده عبرها هى بالترتيب : مركز (حلايب)، ومركز (أسوان)، والرادار الموجود خارج (ادفو)، ومركز الدفاع الجوى فى (قنا)، ثم مركز (أسيوط)، ومركز (بنى سويف)، وأخيرًا مركز الدفاع الجوى الرئيسى للعاصمة .. وهذا يعنى أن الجسم يتحرك فى اتجاه الشمال الغربى، والسرعة التى سجلتها كل أجهزة الرصد تثير القلق، فهى تفوق السرعة المعروفة، لكل الطائرات وأحدث الأجهزة، التى اخترعتها الدول الكبرى مؤخرًا، وتقارير المخابرات، التى أطالعها منذ الواحدة والنصف صباحًا، تنفى وجود سلاح كهذا، ثم إنه لم ترد أية بلاغات، عن سقوط نيزك ما، أو ارتطام أى جسم غريب فى المنطقة كلها .. أضيف إلى هذا أن كل أجهزة الرصد، ومراكز الدفاع الجوى، المنتشرة على سواحلنا، وحتى على الحدود المصرية الليبية، لم تسجل رؤيتها لهذا الجسم قط، مما يعنى أنه لم يتجاوز الحدود، ولم يكمل سيره .. لقد توقف فى مكان ما من الصحراء الغربية .

ورسم بعصاه دائرة وهمية على الخريطة، تضم (مديرية التحرير)، و (كوم حمادة)، ومنطقة وادى (النطرون)، وهو يستطرد :

ـ هنا تقريبًا .

سأله أحد قادة القوات الجوية :

ـ إنها مساحة شاسعة، كيف يمكن فحصها كلها ؟

أجابه وزير الدفاع :

ـ سنضع خطة للاستطلاع الجوى، يتم خلالها تقسيم المنطقة إلى أربعة أجزاء، ثم تمسح قواتنا الجوية المكان كله بأجزائه الأربعة، فى وقت واحد .

قال أحد القادة :

ـ هذا يحتاج إلى ثلاثين طائرة على الأقل .

وأضاف قائد آخر :

ـ نصفها من طائرات الهليوكوبتر .

أشار وزير الدفاع بعصاه مرة أخرى، وهو يقول :

ـ سنستخدم نصف سلاحنا الجوى، لو لزم الأمر، حتى نكشف ما يحدث على أرضنا .

ثم انعقد حاجباه فى حزم، وهو يستطرد :

ـ إنه أمر بالغ الخطورة أيها السادة، فالدراسات الأولية مخيفة للغاية .

سأله أحد قادة الدفاع الجوى فى قلق :

ـ هل لنا أن نعرف ما الذى توصلت إليه الدراسات ؟

أجابه وزير الدفاع فى لهجة خاصة، تشف عن إحساسه بمدى أهمية وخطورة الأمر :

ـ الدراسات تؤكد أننا نواجه محاولة من جهات معادية، للسيطرة على المجال الجوى المصرى، وهذا يعنى أيها السادة أننا ـ لو صح هذا القول ـ قد نخضع ـ فيما بعد ـ لما هو أكثر خطورة من هذا .

ودارت عيناه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ للاحتلال .. ستحتلنا قوة تفوقنا إلى حد كبير فى درجة التسليح .

قال قوله هذا ، فاتسعت العيون كلها لحظات ، قبل أن تحتقن الوجوه فى شدة ..

لقد أدركوا الآن أن الخطر كبير ..

كبير للغاية ..

★ ★ ★

« (ميكى) .. (ميكى) .. أين أنت ؟.. » .

هبَّ (خالد) من نومه فزعًا ، على صوت ذلك الهتاف ، الذى يحمل صوت ابنته ، وألقى نظرة سريعة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى السادسة صباحًا ، وغمغم وهو يرتدى خفًا منزليًا ، ويسرع إلى باب المنزل :

ـ يبدو أن إحساس (هبة) بالفراغ يدفعها للعب مع (ميكى) ، فور استيقاظها .

أدهشه أن يرى ابنته وحدها فى الخارج ، والدموع تغرق عينيها ، فسألها فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟.. أين (ميكى) ؟

انهمرت دموعها فى غزارة ، وهى تقول :

ـ لست أجده .. لقد استيقظت فلم أجده بالمنزل ، ورأيت الباب مفتوحًا ، فتصوَّرت أنه يلهو وحده بالخارج ، ولكننى لم أعثر له على أثر .

ربَّت (خالد) على كتف ابنته فى حنان ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، ويقول :

ـ اطمئنى .. إنه لن يذهب بعيدًا .. لا يوجد مكان يمكنه الذهاب إليه . سيعود حتمًا بعد قليل .

قالت باكية :

ـ ولكنه كان يستجيب دائمًا لندائى .

لوَّح بكفه ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ ربما كان أبعد من أن يسمعه .

ثم عاد يربِّت على كتفها فى حنان مشفق ، مستطردًا :

ـ اطمئنى .. كل الكلاب تعود إلى أصحابها ، إنها حاسة خاصة لديهم .

تطلَّعت إليه فى حزن ، وهى تسأله :

ـ أأنت واثق من هذا ؟

أشار بسبَّابته فى حركة مسرحية ، وهو يقول :

ـ تمام الثقة .

ثم انحنى يحملها ، وهو يضيف :

ـ ولكن دعنا نتناول طعام الإفطار أوَّلًا ، وننتظر عودته .

حاول أن يداعبها ويمازحها ، وهما يتناولان طعام الإفطار ، إلا أنها ظلت حزينة شاردة الذهن ، تتطلَّع كل حين وآخر إلى النافذة ، وكأنها تنتظر عودة (ميكى) فى أية لحظة ..

وكان هذا يؤلم (خالد) أيضًا ؛ فهو يعلم أنها شديدة التعلق بكلبها ، وخاصة بعد قدومهما إلى ذلك المكان المنعزل ، الذى لم يعد لها فيه صديق سواه ..

ولكنه أقنع نفسه بأن (ميكى) سيعود حتمًا ، ونقل هذا إلى ابنته ، وهو يقول :

ـ لا تقلقى نفسك كثيرًا بشأن (ميكى) .. لا يوجد ما يمنعه من العودة .. ثم إنه يحبك ، ولا يمكنه أن يتركك وحدك .

أجابته والدموع تسيل على وجنتيها :

ـ أمى أيضًا كانت تحبنى ، ولكنها تركتنى ورحلت .

تطلّع إليها لحظة فى عطف وشفقة ، واسترجع شيئًا من ذكرياته مع أمها ، التى تزوّجها فور تخرجهما من كلية الزراعة ، وبدأت الدموع تترقرق فى مقلتيه أيضًا ، وهو يتمتم :

ـ أمك لم ترحل بإرادتها يا (هبة) .. لقد اضطرت لذلك .

مسحت الصغيرة دموعها ، وهى تتطلّع عبر النافذة ، قائلة :

ـ ربما اضطر (ميكى) أيضًا إلى الرحيل .

انعقد حاجباه فى شدة ، عندما سمع عبارتها ، وقفز إلى ذهنه بغتة مشهد وهمى للكلب ، وهو يغادر المنزل ، ويتجه إلى البئر القديمة ، ويثب إلى حاجزها الصغير ، ولكن قائمته المصابة تخلّ بتوازنه ، فيهوى إلى الداخل هذه المرة ، و ...

والتفت فى هلع إلى البئر ، وحدّق فيه لحظة ، عبر النافذة المفتوحة ، قبل أن ينهض قائلًا :

ـ هيا يا صغيرتى .. سأريك كيف يجلبون الماء من البئر .

تبعته ، وهى تسأله فى لهفة :

ـ هل ستعلمنى كيف أحضره بنفسى ؟

أجابها وهو يسرع الخطا نحو البئر :

ـ بالتأكيد يا صغيرتى .. بالتأكيد ..

تردّد لحظة ، وهو يقف أمام البئر ، ثم انحنى فى حذر ، وألقى نظرة متوترة على قاعه ، وهو يتوقّع رؤية جثة طافية هناك ..

ولكنه كان مخطئًا ..

لم يكن هناك أى شىء فى قاع البئر ..

فقط مياه نظيفة ، تعكس صورة السماء الزرقاء ، ويتحرّك سطحها فى هدوء ، مع تساقط قطرات الندى من جدران البئر ..

وتنهّد (خالد) فى ارتياح ، وهو يغمغم :

ـ حمدًا لله .. إنه ليس هنا .

سألته ابنته فى حيرة :

ـ من تقصد يا أبى ؟

ربّت على كتفها ، وهو يقول :

ـ لا شىء يا صغيرتى .. لا شىء .

وهمّ بالابتعاد عن البئر ، عندما لمح بغتة ذلك الشىء .. جسم ما ، تحرّك حركة خفيفة تحت الماء ، ولكنها كانت كافية ليتوتر السطح ، وتتراقص مياهه على نحو ملحوظ ، جعل (خالد) يحدّق فيه لحظات ، ويتمتم فى توتر :

ـ أمن الممكن أن ..

بتر عبارته بسرعة ، وارتجف وهو يتصوّر جثة الكلب تحت السطح ، ثم اعتدل وقال لابنته :

ـ سأهبط لفحص الماء .

سألته فى براءة :

ـ هل يوجد سلم هنا ؟

أشار إلى الحبل الغليظ ، الملتف حول القائم الخشبى ، الذى كان يستخدم لتدلية الدلو القديم ، وقال :

ـ سأستخدم هذا الحبل .

سألته فى حماس :

ـ هل يمكننى أن أصحبك ؟

ضحك ، وهو يمسح على شعرها ، قائلًا :

ـ ومن سينقذنى إذن ، إذا ما احتجت إلى معاونة ؟

هتفت بسرعة :

ـ أنا .. أنا الابنة الجميلة ، التى ستنقذ والدها .

ضحك مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنت كذلك .

وأدار الرافعة الخشبية ، حتى تدلّى الحبل إلى قرب القاع ، ثم أمسكه فى قوة ، وتخطى حاجز البئر ، وهو يقول :

ـ انتظرينى هنا ، ولا تحاولى النظر إلى أسفل .. هل تفهمين ؟

أجابته فى بساطة :

ـ نعم .. أفهم . لن أنظر إلى أسفل .

أمسك الحبل فى قوة ، وألصق قدميه بجدار البئر ، وراح ينخفض فى بطء ، وقلبه يخفق فى عنف ..

ماذا لو عثر بالفعل على جثة (ميكى) ، فى قاع البئر ؟ ..

كيف يواجه ابنته حينئذ ؟..

كيف يمكنه حمايتها من الانهيار حزنًا ؟!..

ظلّت هذه الأفكار تراوده ، وهو يقترب من سطح الماء فى قاع البئر

رويدًا رويدًا ، حتى أصبح على ارتفاع نصف المتر منه ، وغاصت قدماه فى الماء بالفعل ، وسمع ابنته تهتف :

ـ هل عثرت على شىء ما يا أبى ؟

دفع قدميه فى الماء ، بحثًا عن أى جسم صلب ، وهو يقول :

ـ لا .. ليس بعد .

كان من الواضح أن الكلب لم يسقط فى البئر ، فالجثة لا يمكنها أن تغوص إلى أعمق من هذا ..

عبث بقدميه فى الماء مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ لا يوجد أى شىء هنا .

لم يكد ينطقها حتى ارتطم جسده بشىء ما ..

شىء فى صلابة المعدن ، ولكنه ابتعد عن قدمه فى حركة سريعة مقصودة ، وكأنه جسم حى ..

وجفل (خالد) فى عنف ، مع حركة ذلك الشىء ، وأفلتت يده الحبل ، فهوى فى البئر ، وعلى الرغم من حرارة الجو فى الخارج ، كانت مياه البئر باردة ، وهو يغوص فيها ، وذراعاه تضربانها فى قوة ، فى محاولة للارتفاع إلى السطح ، بعد أن أوضح له الغوص أن البئر أعمق مما كان يتوقع ..

وفجأة ، رأى أمامه ذلك الشىء ..

مجرَّد زوج من الأعين يحدِّق فيه ، ويشعّ بريقًا أخضر مخيفًا ..

وشهق (خالد) فى قوة ، عندما برز أمامه ذلك الشىء ، مع شهقته ، ابتلع كمية من مياه البئر الباردة ، واختنق صدره فى شدة ، وتهالكت أطرافه ، ثم أظلم عقله تمامًا ..

فى أعماق البئر ..

★ ★ ★

انطلقت طائرات الهليوكوبتر الثلاث ، تستكشف تلك المنطقة من الصحراء الغربية ، وضغط قائد الفريق الصغير زر جهاز الإرسال اللاسلكى ، وهو يقول :

ـ من (نسر ـ ١) إلى القاعدة .. تم فحص المنطقة كلها ، ولا يوجد أثر لأى جسم غريب .

أتاه الرد من القاعدة ، يقول :

ـ فليكن يا (نسر ـ ١) .. قم بدورة أخرى ، ثم عد مباشرة إلى القاعدة .

أجابه قائد فريق البحث :

ـ وصلت الأوامر ، وسيتم التنفيذ .

وانطلق بطائرته يجوب المنطقة للمرة الثالثة ، وهو يسأل زميليه ، عبر جهاز الاتصال ، على موجة البث الداخلية :

ـ هل يرى أحدكما شيئًا ؟

أجابه الأوَّل :

ـ كلَّا .. كل شىء يبدو لى على ما يرام .

وقال الثانى فى ضجر :

ـ إننا لم نر منذ أقلعنا ، سوى الرمال الصفراء ، وتلك البيوت الصغيرة ، فى المنطقة التابعة لهيئة الاستصلاح .

ضحك القائد ، وقال :

ـ هل يمكنك أن تتخيَّل أن بشرًا يمكنهم العيش فى مثل هذا المكان ؟

أجابه الأوَّل :

ـ للضرورة أحكام يا صديقى .. من يدرى ؟.. ربما اضط ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه !.. هناك .

سرى توتر مباغت فى جسدى زميليه ، وسأله القائد فى لهفة :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه بسرعة :

ـ هناك .. عند الساعة الرابعة(*) .. إنه فى لون رمال الصحراء تمامًا ، ولكن أشعة الشمس انعكست منذ لحظات على جزء منه .

تحرّك الثلاثة فى آلية ، نحو البقعة التى أشار إليها ، وانعقد حاجبا القائد ، وهو يقول فى دهشة :

ـ هذا صحيح .. لقد رأيته .. إنه أشبه بقبة قديمة .. عجبًا !.. كيف لم ننتبه إليه من قبل ؟!

اقتربوا أكثر من ذلك الجسم ، الذى بدا كقبة كبيرة ، يبلغ نصف قطر قاعدتها حوالى خمسة أمتار ، وتلتصق رمال كثيفة بسطحها ، فيما عدا بقعة واحدة ، هى تلك التى انعكست عليها أشعة الشمس ..

وفى توتر ملحوظ ، التقط القائد مسماع جهاز اللاسلكى ، وهتف :

ـ من (نسر ـ ١) إلى القاعدة .. لقد عثرنا على شىء ما .

أجابه مراقب القاعدة فى لهفة :

ـ شىء مثل ماذا ؟

(*) يستخدم رجال الطيران هذا المصطلح ، لتحديد موقع الأهداف فى المعتاد ، والمقصود هنا ليس التوقيت ، ولكن الموضع الذى يحتله عقرب الساعات ، بافتراض أن المنطقة التى يتطلعون إليها هى ساعة كبيرة ، وهذا الأسلوب مألوف فى معظم الدول .

قال القائد :

ـ جسم أشبه بقبة كبيرة .. لست أدرى ما هو بالضبط ، ولكنه لا يشبه أى شىء أعرفه .

مضت لحظات من الصمت ، ثم قال مراقب القاعدة :

ـ هل يمكنكم الاقتراب منه يا (نسر ـ ١) ؟

أجابه القائد :

ـ نحن نحلّق على ارتفاع سبعة أمتار منه بالفعل ، وندور حوله طوال الوقت ، ولكننا لا نلمح فيه أية مداخل أو نوافذ ، باستثناء بقعة صغيرة ، من مادة أشبه بالزجاج ، ويبدو أنها نافذة مراقبة .

سأله مراقب القاعدة :

ـ وهل يمكنكم الاقتراب من تلك البقعة ، أو النظر عبرها ؟

أجابه القائد فى حزم :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

وأكملت الطائرات الثلاث دورتها الأخيرة ، ثم حلّقت فى الهواء ، وأوقفتها مراوحها الأفقية على مسافة قريبة من تلك البقعة نصف الشفافة ، وقال القائد ، وهو يتطلّع إليها فى اهتمام :

ـ إنها بالفعل أشبه بالنافذة ، ولكنها لا تشف عما خلفها جيدًا .. ولكن مهلًا .. يبدو أنه هناك شىء ما يتحرّك خلفها .. يا إلهى !.. إنها تنفتح فى بطء .. وحجمها يتسع بشدة .. ترى ما الذى يحدث داخل هذا الشىء بالضبط .. سأحاول أن أقترب أكثر .

هتف به صوت المراقب ، عبر أجهزة الاتصال .

ـ لا تقترب أكثر يا (نسر ـ ١) .. هذا يكفى .. عد إلى القاعدة على الفور .

أجابه القائد فى توتر :

ـ ولكن هناك شىء ما يخرج من تلك النافذة .. ربّاه !.. إنه ...

وتوقّف البث بغتة ، على نحو جعل مراقب القاعدة يعقد حاجبيه فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ من القاعدة إلى (نسر ـ ١) .. ماذا حدث عندك ؟.. أجب .. من القاعدة إلى (نسر ـ ١) .. نريد تقريرًا فوريًا عن موقف فريقك .

ردّد مراقب القاعدة النداء عشرات المرات ، ولكن فريق (نسر ـ ١) لم يستجب ..

لقد اختفى الفريق كله ..

اختفى تمامًا .

★ ★ ★

٣ ـ حالة طوارئ ..

ظلام دامس يغلّف كل شىء ، وتسبح فيه عيون خضراء لامعة ، أحاطت كلها بابنته (هبة) ، التى صرخت تستنجد به :

ـ أبى .. أبى .

حاول أن يمدّ يده إليها ، ولكن راحته كانت ثقيلة ، وكأن عظامه تحوّلت داخلها إلى كتلة من الصلب ، وعندما أراد أن يصرخ ، اختنقت الكلمات فى حلقه ، فراح يحدّق مذعورًا فى تلك العيون الخضراء ، التى تجذب ابنته بعيدًا ، وهى تهتف :

ـ أبى .. أبى .

وفجأة ، أصبح صوتها مسموعًا فى وضوح ، وتردّد داخل رأسه واضحًا ، وشعر معه بيد (هبة) الصغيرة تهزه ، واشتم رائحة الدموع

الممتزجة بصوتها ، ففتح عينيه يحدق فى وجهها بدهشة . قبل أن يهتف :

ـ (هبة) ؟!.. أين أنا ؟

أطلقت الصغيرة لدموعها العنان ، وهى تعانقه فى حرارة ، وتهتف :

ـ لقد عدت إلىَّ يا أبى .. لم ترحل مثل أمى .. كم شعرت بالخوف ، عندما تركتنى وحدى هنا .

أدار عينيه فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى حجرة نومه ، التى تحيط به ، ثم سألها فى حيرة بالغة :

ـ كيف أتيت إلى هنا .. ألم أسقط فى قاع البئر ؟

رآها ترمقه بنظرة دهشة ، وهى تقول :

ـ تسقط فى قاع البئر ؟!.. ألم يكن هذا حلمًا ؟

سألها فى توتر :

ـ ولماذ تصوَّرت أنه حلم ؟

بدت الحيرة على وجهها لحظات ، ثم لم تلبث أن هزَّت رأسها الصغير ، وقالت :

ـ إنه حلم بالتأكيد .. لقد حلمت أنك هبطت فى هذه البئر ، ثم سمعتك تسقط فيه ، فرحت أصرخ مذعورة ، حتى فقدت الوعى .

سألها بسرعة :

ـ وماذا حدث بعد أن فقدت الوعى ؟

هزَّت كتفيها ، وقالت فى بساطة :

ـ استيقظت من النوم ، وعرفت أنه حلم ، عندما وجدت نفسى نائمة

فى فراشى إلى جوارك ، ولكننى شعرت بالخوف ، عندما حاولت إيقاظك ؛ لأقصَّ عليك حلمى .

التقى حاجباه ، وهو يتطلَّع إلى ابنته فى توتر بالغ ..

إنه يعلم أن ما رأته لم يكن حلمًا ..

من المستحيل أن يحلم هو وهى بالواقعة نفسها ..

ثم إن ما شعر به كان أقوى من الأحلام ..

صحيح أن جسده وملابسه جافان ، ولكنه واثق من أنه قد سقط فى مياه البئر الباردة بالفعل ، ورأى تلك الأعين المخيفة ..

وفى حزم ، غادر فراشه ، ووقف يتطلَّع إلى البئر عبر النافذة ، ويفحص الطريق الرملى ، الذى يوصله بالمنزل ..

لم تكن هناك أية علامات ، تشير إلى حركة جسم ما ، فيما عدا آثار قدميه وقدمى ابنته ، عندما ذهبا إلى البئر ، و ...

وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، مع سؤال وثب إلى ذهنه بغتة ..

لماذا تبدو آثار أقدامهما فردية ، فى اتجاه واحد ؟

تحرَّك بسرعة ليغادر المنزل ، وانحنى يفحص الآثار فى اهتمام ، قبل أن يعتدل ، مغمغمًا :

ـ كنت على حق .

كانت الرمال تحمل آثار قدميه وقدمى ابنته فى وضوح ، وهى تتجه من المنزل إلى البئر ، ولكن لم يكن هناك أدنى أثر لهما ، يشير إلى عودتهما منه ..

وهذا يعنى أنهما لم يعودا على نحو طبيعى ..

لقد أعادهما شىء ما إلى المنزل ..

شىء لم يطأ رمال الصحراء قط ..
شىء يرقد فى قاع البئر ..
وتطلّع لحظات إلى البئر فى توتر بالغ ، ثم تمتم فى خفوت :
ـ ما أنت بالضبط ؟
سألته (هبة) فى حيرة :
ـ إلى من تتحدّث يا أبى ؟
مسح بيده على شعرها ، وهو يقول فى شرود :
ـ إننى أفكّر فحسب يا صغيرتى .
عندما أجابها بهذا القول ، كان غارقًا فى التفكير بالفعل ، وكانت الفكرة الوحيدة التى تملأ رأسه هى : هل يبقى فى هذا المنزل ، على الرغم من كل ما يحدث ، أم يعود بابنته إلى (القاهرة) ؟!..
ولكن كيف يعود إلى (القاهرة) ، بعد أن باع كل ما يمتلكه ، وأنفق معظم مدخراته ، لشراء هذا المكان ؟..
وفى هذه اللحظة ، امتلأت نفسه بشعور سخيف ..
شعور بالضياع ..
الضياع التام ..

★ ★ ★

بدا الموقف شديد التوتر فى قيادة القوات الجوية ، واجتمع كبار القادة فى غرفة العمليات ، وراحوا يفحصون خريطة مجسّمة لمنطقة الصحراء الغربية ، وأشار قائد القوات الجوية إلى نقطة ما ، وهو يقول :
ـ هنا اختفى فريق (نسر ـ ١) .. ثلاث طائرات هليوكوبتر مقاتلة ،

من أحدث طراز ، اختفت تمامًا ، دون أن تترك أدنى أثر .. لا حطام ، لا بقع زيتية ، ولا حتى شظايا صغيرة .
قال أحد اللواءات فى توتر :
ـ وتلك الرسالة التى تلقتها منهم أجهزة المراقبة ، قبل اختفائهم مباشرة تثير الكثير من الحيرة والقلق .. بل ولن أخجل من القول : بأنها تملأ نفسى بخوف مبهم .
أجابه لواء آخر :
ـ ليس هذا شعورك وحدك .. لقد قرأت الرسالة أكثر من عشر مرات ، وبدا لى الأمر وكأنه واحد من أفلام الخيال العلمى ، التى طالما سخرنا منها .
سأله قائد القوات :
ـ ماذا تعنى بالضبط ؟
لوّح اللواء بذراعه كلها ، وهو يقول :
ـ كنت أعتقد أن هذا يبدو واضحًا .. جسم غريب يظهر فى السماء ، ويتحرّك بسرعة تفوق أكبر السرعات المعروفة ، فى عالم الطيران ، وقبة عجيبة تظهر فى الصحراء الغربية ، وعندما تقترب منها طائرات الهليوكوبتر لفحصها ، تختفى الطائرات بغتة .. ألا يبدو التفسير منطقيًا واضحًا ، على الرغم من غرابته يا سادة ؟!.
ودار بعينيه فى وجوه الحاضرين جميعًا ، قبل أن يهتف :
ـ الأطباق الطائرة .
وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يتوقعون هذا القول ، إلا أن الدهشة ملأت وجوههم ، وهم يهتفون فى استنكار :

ـ الأطباق الطائرة ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟.. أطباق طائرة هنا فى (مصر) ؟

أجابهم اللواء فى إصرار :

ـ نعم .. أطباق طائرة هنا فى (مصر) .. ما الذى يمنع هذا ؟.. لقد شوهدت الأطباق الطائرة فى معظم بلدان العالم ، وحتى فى دولة (الكويت)(*) ، ونحن نعلم ـ بحكم عملنا ـ أن بعض هذه المشاهدات حقيقية ، وليس لها أى تفسير آخر ، ولقد قرأنا جميعًا ، منذ عدة أعوام ، التقرير السرى ، الذى وضعته المخابرات المركزية الأمريكية ، حول ظاهرة الأجسام الطائرة المجهولة الهوية ، والذى أكدت فيه وجودها ، بما لا يدع مجالًا للشك ، فما الذى يمنع وجودها فى (مصر) إذن ؟

ران الصمت على المكان بضع لحظات ، تبادل فيها الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يقطع قائد القوات الجوية حبل الصمت ، قائلًا فى حزم :

ـ فليكن .. سنضع هذا الاحتمال فى الاعتبار ، ولكننى ما زلت أميل إلى احتمال أن يكون هذا مجرَّد سلاح جديد ، قرَّر البعض استغلال صحراننا الغربية لتجربته .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا :

ـ ولكن هذه ليست المشكلة الفعلية .

سأله أحد الضباط :

ـ وما المشكلة الفعلية إذن ؟

(*) حقيقة .

صمت القائد لحظات ، التقط خلالها نفسًا عميقًا ، ومطَّ شفتيه ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لقد فحصنا المنطقة كلها ، التى اختفت فيها طائرات الهليوكوبتر الثلاث ، وكما اختفت الطائرات ، فإننا لم نعثر أيضًا على أدنى أثر لذلك الشىء الذى تحدَّثوا عنه قبيل اختفائهم .. لقد اختفت تلك القبة تمامًا ، وكأنها لم تكن هناك أبدًا .

سأله أحد الرجال :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله الآن ؟

تنهَّد القائد ، وقال :

ـ من حسن الحظ أن المنطقة كلها شبه خالية ، ولا تضم سوى بعض المنازل ، فى منطقة استصلاح الأراضى الجديدة ، ولقد أكَّدت لنا اتصالاتنا ، أنه لا يوجد سوى القليل منها مأهولًا ، والباقى لم تتم أعماله بعد ؛ لذا فقد قرَّرت الاستعانة بسلاح المشاة ، للبحث فى المنطقة كلها .

هتف أحد الرجال :

ـ سلاح المشاة ؟!.. كيف يحدث هذا ؟.. المعتاد هو أن المشاة هم الذين يطلبون معاونة الطيران .

أجابه القائد فى حزم :

ـ لسنا هنا بصدد التنافس بين وحدات الجيش المختلفة .. هذه القبة ، لو أن لها وجودًا حقيقيًا ، تجيد التمويه وإخفاء نفسها ، تحت ساتر من الرمال ، وهذا يمكنه أن يخدع الطائرات المحلِّقة فى السماء ، ولكنه لن يخدع المشاة قط .. هل فهمت ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وإن لم تشف ملامحه عن الاقتناع ، فالتفت القائد إلى اللواء ، صاحب فكرة الأطباق الطائرة ، وقال :

- لو صحت فكرتك ، فسيعنى هذا أننا أمام موقف خطير .. بل وخطير للغاية .. إننا يا سادة لن نكون فى حالة حرب مع خصم من عالمنا ، بل سنواجه غزاة من عالم آخر .. غزاة من وراء النجوم .

قالها ، فعاد الصمت يغلف القاعة كلها ، ولكنه لم يكن صمتًا عاديًا هذه المرة ، بل كان صمتًا مغموسًا فى الكثير من الرهبة .. أو من الرعب ..

★ ★ ★

لم تكد الشمس تميل إلى الغروب ، حتى امتلأت نفس (خالد) بالتوتر والقلق ، وراح يتطلّع إلى الأفق فى خوف ، وكأنما يتوقّع أن يتحوّل قرص الشمس بغتة إلى زوج من الأعين الخضراء ، وينقض عليه كوحش كاسر ..

ومن خلفه ، راحت ابنته (هبة) تردّد فى حزن :

- (ميكى) لم يعد بعد يا أبى .. أين ذهب ؟.. لماذا اختفى ؟

ربّت عليها فى حنان ، قبل أن يبدأ فى تشغيل المولّد الكهربى ، وهو يجيب :

- سيعود يا صغيرتى .. سيعود بإذن الله .

قالها بلهجة لم تنجح حتى فى إقناعه هو ، ولكنه لم يجد ما يقوله سواها ؛ فهو يشعر بحيرة تفوق حيرتها ، كلما فكّر فى أمر اختفاء الكلب ..

لقد فحص المنطقة المحيطة بالمنزل كلها ، ولكنه لم يعثر سوى

على آثار حديثة له ، بأطرافه الثلاثة ، تبدأ من باب المنزل ، وتمتد لثلاثة أمتار ، ثم تنقطع بغتة ، وكأنما طار الكلب فى الهواء ، أو ... أو سحبه شىء ما إلى أعلى ..

وارتجف جسده مع الاحتمال الثانى ، ورفع عينيه إلى السماء ، وكأنه يتوقع رؤية ذلك الشىء فوقه ، ثم عاد يخفضهما إلى حيث تقف (هبة) ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- والآن ينبغى لصغيرتى الجميلة أن تتناول طعام العشاء ، ثم تخلد إلى النوم .. أليس كذلك ؟

قالت باحتجاج متخاذل :

- ولكن (ميكى) لم يعد بعد .

انحنى يحملها ، ويضمّها إلى صدره فى حنان ، وهو يقول :

- سيعود يا صغيرتى .. صدقينى .. سيعود بإذن الله .

سألته فى اهتمام :

- هل تعدنى يا أبى ؟

لم يكن بإمكانه أن يلقى مثل هذا الوعد ، ولكنه غمغم :

- أعدك يا صغيرتى .

طبعت قبلة على خده ، وهى تقول :

- أشكرك يا أبى .. أشكرك كثيرًا .

كان التوتر يملأ نفسه بحق فى هذه الليلة ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يكد يتناول طعام العشاء ، حتى بدأ رأسه يثقل ، فقال لابنته :

ـ سأوقف المولّد الكهربى ، ولنذهب إلى الفراش .

قالت محتجة :

ـ ولكننى أخشى النوم فى الظلام .

قال ، وهو يحملها إلى الفراش :

ـ سنوقد شمعة كبيرة ، داخل قدح من الماء ، ونضعها فى حجرة النوم .. هل يروق لك هذا ؟

طبعت قبلة أخرى على خده ، وهى تقول :

ـ أنا أحبك كثيرًا يا أبى .

كان المفروض أن يروى لها قصة (سندريلا) للمرة الألف ، على ضوء الشمعة المتراقص ، ولكنه لم يكد يبلغ تلك المرحلة ، التى فقدت فيها (سندريلا) حذاءها(*) ، حتى راح فى سبات عميق ، فهتفت (هبة) محتجّة :

ـ وماذا بعد .. ماذا بعد أن فقدت الحذاء ؟

ولكن (خالد) لم يسمعها ، وهو غارق مع أحلامه ، فمطّت شفتيها الصغيرتين ، وعقدت ذراعيها أمام صدرها ، وهى تقول :

ـ سأخاصمك لأنك لم ترو لى الجزء الطريف ، عندما كان الجميع يقيسون حذاء (سندريلا) ؛ ليتزوّجوا الأمير .

(*) سندريلا : قصة شعبية ، غير محدودة المصدر ، ولكنها ظهرت مطبوعة فى كتاب يحمل اسم (قصص الماضى) ، من تأليف (تشارلز بارالت) عام ١٦٩٧ م ، وهى تحكى عن فتاة صغيرة ، تحيا مع زوجة أبيها ، التى تسىء معاملتها بشدة ، لحساب ابنتيها ، ثم يقيم الأمير حفلًا ، وترفض زوجة الأب ذهاب (سندريلا) إليه ، ولكن جنية طيبة تساعد (سندريلا) على حضور الحفل ، ويحبها الأمير ، ويتزوّجها عندما يناسب الحذاء الذى تركته خلفها قدمها .

كانت تحفظ القصة عن ظهر قلب ، ولكنها لا تمل سماعها على لسان والدها ، ثم إنها لم تشعر بالرغبة فى النوم ، وكانت تحتاج إلى من يؤنس وحدتها ، فظلت جالسة على الفراش طويلًا ، قبل أن تغمغم فى ضيق :

ـ أين أنت يا (ميكى) ؟!.. لماذا تركتنى وحدى ؟

زفرت مرتين فى تذمر ، ثم قضت بعض الوقت فى مراقبة ذبالة الشمعة المتراقصة ، إلا أنها لم تلبث أن قالت فى ضجر :

ـ لماذا لا يأتينى النوم ؟

تراجعت بظهرها لتنام ، عندما لاحظت بغتة ، عبر النافذة ، أن الضوء قد انبعث فى المخزن ، فاعتدلت بحركة سريعة ، وهتفت :

ـ أبى .. يبدو أنك لم توقف عمل المولّد .

لم يجب (خالد) ؛ لأنه لم يسمع حرفًا واحدًا من هتافها ، مع نومه العميق ، ولكنها غادرت الفراش ، وأسرعت إلى النافذة ، تتطلّع منها إلى المخزن ، الذى أطلقت نوافذه كلها ضوءًا أبيض ، وخُيّل إليها أن جسمًا صغيرًا قد اندفع نحو الباب ، وعبره فى لمحة خاطفة ، فهتفت فى سعادة :

ـ (ميكى) .. هل عدت ؟!

قالتها وأسرعت تفتح باب المنزل ، وجرت نحو المخزن ، وهى تنادى كلبها الغائب ، ولكنها لم تكد تصل إلى هناك ، حتى توقفت أمام الباب نصف المفتوح ، وبدا لها ذلك الضوء الأبيض جميلًا ، باعثًا على الارتياح ، والتقطت أذناها أصواتًا مختلفة من الداخل ، أشبه

بصوت مجموعة من القطط ، تلهو معًا ، أو تعبث ببعض بكرات الخيط الطويلة ، فابتسمت (هبة) ، وغمغمت :

ـ إذن فأنت تلعب يا (ميكى) .

ودفعت الباب فى رفق ، ثم دلفت إلى المخزن ، ولم تكد تفعل ، حتى اتسعت عيناها فى دهشة ، وذابت الابتسامة على شفتيها ..

إنه لم يكن كلبها (ميكى) ، ذلك الذى يلهو داخل المخزن ، بل كان ما تراه أمامها شيئًا عجيبًا ، يتجاوز كل توقعاتها ..

بل يتجاوز الحدود نفسها ..

حدود العقل .

★ ★ ★

٤ ـ الغموض يتزايد ..

استيقظ (خالد) فى الصباح التالى ، وهو يشعر بارتياح بالغ ، بعد النوم العميق الذى غرق فيه ، منذ مساء اليوم السابق ، وتطلّع إلى ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى السادسة والربع ، ثم استدار يلقى نظرة حانية على ابنته ، التى توسّدت راحتها ، وراحت فى سبات عميق ، ومد يده يداعب أنفها ، وهو يقول :

ـ استيقظى يا أميرتى .. لقد أشرقت الشمس .

همهمت (هبة) بعبارة غير مفهومة ، وأزاحت يده عن أنفها ، وهى تقول :

ـ أرجوك يا أبى .. اتركنى أنام بعض الوقت .. أنا متعبة .

ابتسم وهو يداعبها مرة ثانية ، قائلًا :

ـ هيًا .. لقد حان موعد الإفطار ، ثم إنك تنامين منذ مساء أمس ، ومن الخطأ أن ينام الأطفال لفترة أطول من المعتاد .

قالت محتجة :

ـ ولكننى لم أنم إلا مع شروق الشمس .

هتف فى دهشة :

ـ شروق الشمس ؟!.. ولماذا ظللت مستيقظة كل هذ الوقت ؟

غمغمت فى تراخ :

ـ كنت ألعب مع أصدقائى .

التقى حاجباه ، وهو يردّد :

ـ أى أصدقاء ؟

فتحت عينيها فى صعوبة ، ورفعت رأسها عن الوسادة قليلًا ، وهى تشير بيديها ، قائلة :

ـ هل تعرف الأقزام السبعة ، الذين رأيناهم فى السينما ، فى فيلم الرسوم المتحرّكة (سنوهوايت) ؟(*) .. لقد جاءوا لزيارتى مساء أمس .

ارتجف قلبه فى صدره ، وهو يسألها :

ـ أهو حلم آخر ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلّا .. لم يكن حلمًا .. لقد جاءوا بعد نومك مباشرة .. أنا رأيتهم فى المخزن ، عندما اشتعلت أضواؤه .

رفع حاجبيه فى دهشة ، والتفت بحركة حادة إلى النافذة ، ليحدّق فى المخزن ، ثم التفت إليها ، وحاول أن يسيطر على أعصابه ، وهو يمسك كتفيها ، ويسألها :

ـ اصدقينى القول يا (هبة) .. ما الذى حدث بالفعل ؟

دعكت عينيها ، وجلست على الفراش فى إرهاق ، وهى تجيب :

ـ لقد رأيت الأضواء تنبعث من المخزن ، وظننت أن (ميكى) هناك ، فذهبت إليه ، ولكنه لم يكن هو الذى أشعل الأضواء ، وإنما هؤلاء الأقزام السبعة .

(★) سنوهوايت والأقزام السبعة : واحد من أشهر أفلام (والت ديزنى) ، تم عرضه للمرة الأولى عام ١٩٣٧ م ، وهو يحكى عن أميرة صغيرة ، حاولت زوجة أبيها التخلص منها ، ولكنها تنجو ، وتحيا مع سبعة أقزام طيبين ، يساعدونها على أن تستعيد ملكها ، بعد ظهور أمير جميل فى حياتها كالمعتاد .

سألها فى توتر :

ـ هل تستطيعين أن تصفيهم ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. إنهم مثلى ، وليسو مثلك .

سألها :

ـ ماذا تعنين ؟

أشارت بيدها ، مجيبة :

ـ أعنى أن لهم نفس طولى ، ولكنهم أكثر نحولًا منى .. يبدو أنهم لا يشربون اللبن فى الصباح .

قال فى توتر :

ـ بالتأكيد .. بالتأكيد .. هيًا .. أكملى .. هل يرتدون نفس ثياب الأقزام السبعة فى الفيلم .

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلّا .. إنهم يرتدون ثيابًا فضية اللون ، ويضعون أشياء مستديرة داكنة على رءوسهم ، لم تسمح لى برؤية وجوههم ، ويحملون على ظهورهم حقائب ثقيلة ، تخرج منها أنابيب قصيرة ، تنتهى عند طرف هذه الأشياء ، التى يضعونها على رءوسهم .

اتسعت عيناه فى هلع ، وهو يستمع إليها ، فقد كانت تصف فى بساطة ، وبكل براءة الطفولة ، رواد فضاء صغار الحجم ، احتلوا مخزنه طوال الليل ..

وفى هلع ، سألها :

ـ وهل لعبت معهم ؟

هتفت فى سعادة :

ـ بالطبع .. إنهم ظرفاء للغاية .. لقد داعبونى ، وتحدثوا معى ، وأهدونى لعبة جميلة ، لم أر مثلها قط ، و ...

أشار إليها لتصمت ، بعد أن عجز عقله عن استيعاب كل هذا ، وهتف بها وقد تضاعف توتره :

ـ هل تحدثوا معك ؟

أجابته :

ـ نعم ، وقالوا إنهم يحبوننى ، ويتمنون لو أرحل معهم إلى وطنهم .

سألها مذعورًا :

ـ وهل يتحدثون العربية ؟!

تطلعت إليه فى حيرة ، وهى تسأل :

ـ وما العربية ؟

قال فى توتر شديد :

ـ أعنى هل يتحدثون كما نتحدث نحن ؟

عقدت حاجبيها الصغيرين ، وهى تقول :

ـ لست أذكر .. إننى لم أرهم يتحدثون ، فلم يخلعوا تلك الكرات المستديرة عن رءوسهم قط ، وأعتقد أنهم ...

بترت عبارتها بغتة ، وامتلأت ملامحها الصغيرة بالحيرة ، فسألها والدها ، وهو يستحثها على المواصلة :

ـ تعتقدين أنهم ماذا ؟

أجابته فى حيرة :

ـ أعتقد أننى لم أسمع أصواتهم قط ، ولكننى واثقة من أنهم قد تحدثوا إلىّ .

ثم تهللت أساريرها ، وهى تستطرد :

ـ أتعلم يا أبى .. لقد وعدونى بأنهم سيعيدون (ميكى) .. لقد أخذوه ليعالجوه ، بسبب إصابة ساقه .. كما أنهم استعادوا الشخص الآخر ، الذى تركوه فى البئر ، منذ آخر زيارة لهم .

سرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يسألها :

ـ فى البئر ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. إنه لا يشبههم ، وإنما يشبه صندوق قمامة صغير من الصفيح ، له قدمان ويدان صغيرتان ، ورأس أشبه بالكرة ، تتوسطه عينان مضيئتان خضراوان ، ويصدر صوتًا عجيبًا ، عندما يسير .

وضحكت قبل أن تستطرد :

ـ لقد ضحكت طويلًا عند رؤيته ، وضحكوا هم أيضًا لضحكاتى ، وأخبرونى أن لديهم الكثير من الأشياء مثله فى وطنهم ، وعندما أذهب لزيارتهم ، سيهدوننى واحدًا منها ، و ...

قاطعها ، وهو يهب من فراشه :

ـ ارتدى ملابسك .. سنرحل من هنا على الفور .

وقفز يلتقط الحقائب ، ويلقى فيها الملابس والأشياء عشوائيًا ، فهتفت به محتجّة :

ـ ولكنهم سيأتون للعب معى الليلة .

صاح بها :

ـ لهذا بالذات ينبغى أن نرحل الآن .

صاحت :

ـ أبى .

ولكنه لم يناقشها هذه المرة ، كما اعتاد فى كل خلاف بينهما .. لقد تأكد الآن من أن هذا المكان يحمل تحت رماله الصفراء سرًا غامضًا مخيفًا ، لم يعد يكتفى بإثارة رهبته فحسب ، وإنما يسعى لاختطاف ابنته أيضًا ، وحملها إلى عالم اخر ..

وهو لن ينتظر حتى ينتزعوا منه ابنته ..

لن ينتظر هذا أبدًا ..

ولم ينته تمامًا من وضع كل الأشياء فى الحقائب ، وإنما اكتفى بما وضعه ، وجذبها من يدها ، واندفع نحو الباب ، وهى تهتف به :

ـ الهدية .. أريد أن آخذ الهدية معى .

تجاهل هتافها تمامًا ، وفتح الباب فى عنف ، و ...

« إلى أين ؟!.. » .

انتفض فى عنف ، وتراجع للخلف مذعورًا ، عندما وقع بصره على ذلك الشخص الفاره القوام ، المتين البنيان ، الذى وقف بالباب فى زى مموه ، من تلك الأشياء التى يرتديها رجال الجيش ، ويحمل فى يده مدفعًا آليًا ، وهتفت (هبة) :

ـ لقد أفزعتنى يا عماه .

ابتسم الرجل ، الذى يحمل رتبة نقيب ، وهو يقول :

ـ معذرة أيتها الصغيرة ، أنا لم أقصد هذا .. كنت أهمّ بطرق الباب ، عندما فتحه والدك بغتة ..

ثم أدار عينيه إلى (خالد) ، وسأله :

ـ ولكن لماذا كنت تسرع هكذا ؟

تنحنح (خالد) ، وقال مرتبكًا :
ـ لدى موعد فى (مديرية التحرير) ، ولقد تأخرت و ...
قاطعه الضابط فى حسم :
ـ ألغ الموعد .. لن يمكنك الذهاب .
شحب وجه (خالد) ، وهو يسأله :
ـ لماذا ؟.. ماذا حدث ؟
رمقه الضابط بنظرة طويلة ، قبل أن يقول فى هدوء حازم :
ـ إجراءات أمن .
سأله (خالد) فى حذر :
ـ بسبب ماذا ؟
هزَّ الضابط كتفيه ، وقال :
ـ أنا نفسى أجهل السبب ، ولكن الأوامر لدينا تحتم منع دخول أو خروج أى مخلوق من المنطقة ، طوال الثمان والأربعين ساعة القادمة .
هوى قلب (خالد) بين ضلوعه ، وهو يقول :
ـ ولكن هذا مستحيل !
عاد الضابط يرمقه بنظرة طويلة ، ثم سأله :
ـ لماذا مستحيل !؟
أجابه فى حدة :
ـ لقد نفدت المؤن ، ونحتاج إلى وقود لإدارة المولّد الكهربى ، و...
قاطعه الضابط فى هدوء :
اكتب قائمة بكل ما تحتاج إليه ، وسنزوّدك به خلال ساعات ، ودون مقابل .

بدا اليأس على وجه (خالد) ، وحاول أن يبحث عن مخرج آخر ، ولكن الضابط سأله بغتة :
ـ قل لى : هل رأيت شيئًا غريبًا فى المنطقة ، فى اليومين الماضيين ؟
انتفض جسده فى عنف ، وهو يهتف :
ـ مطلقًا .. لم أر أى شىء عجيب .. لماذا تسأل ؟
ولكن (هبة) أسرعت تقول فى حماس :
ـ أنا رأيت الأقزام السبعة .
جفَّت الدماء فى عروق (خالد) ، وشحب وجهه بشدة ، وتطلَّع إلى الضابط فى ارتياع ، ولكن هذا الأخير سأل الصغيرة فى اهتمام :
ـ أى أقزام سبعة ؟
لوَّحت بيدها الصغيرة ، وهى تقول :
ـ الأقزام السبعة ، الذين نامت (سنوهوايت) فى منزلهم .. ألم تر الفيلم ؟
ابتسم الضابط ، وأجاب :
ـ بالطبع .. لقد شاهدته عندما كنت فى مثل عمرك .
قالت فى سعادة :
ـ لقد زارونى أمس فى المخزن ، ولعبنا معًا .
قال الضابط مبتسمًا :
ـ حقًا ؟!
أسرع (خالد) يقول ، وهو يطلق ضحكة مرتبكة :
ـ خيال الأطفال واسع للغاية .

أومأ الضابط برأسه ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى .. لقد كنا مثلهم فى طفولتنا .

احتجَّت (هبة) ، قائلة :

ـ إنه ليس خيالًا .. لقد لعبت مع الأقزام أمس فى المخزن ، ووعدونى بإعادة (ميكى) ، بعد علاجه من الكسر .

عقد الضابط حاجبيه ، وهو يتطلَّع إلى (خالد) ، متسائلًا :

ـ (ميكى) ؟!

أجاب (خالد) ، وتوتره يتضاعف مع مضى الوقت :

ـ إنه كلبها .. لقد فقدناه هنا ، ومنذ ذلك الحين تشعر بوحدة شديدة ، فالمكان مقفر كما ترى ، وأعتقد أن هذا هو السبب ، فى كل ما يراودها من أحلام ، حول الأصدقاء الوهميين والأقزام .

صاحت (هبة) فى غضب :

ـ لم يكن حلمًا .. لم يكن حلمًا .. لقد أعطونى هدية أيضًا .

ابتسم (خالد) فى اضطراب ، وربَّت على رأسها ، قائلًا :

ـ بالطبع .. بالطبع .

وغمز بعينه للضابط ، الذى ابتسم مؤيدًا ، ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ فليكن .. لو أنك رأيت أو شعرت بأى شىء غير طبيعى ، حاول أن تبلغنا على الفور .

لوَّح (خالد) بكفيه ، وقال :

ـ كيف ؟!.. لا يوجد هاتف هنا ، أو ...

قاطعه الضابط ، وهو يناوله جهاز لاسلكى صغيرًا :

ـ استخدم هذا .. إنه مضبوط على موجة الاتصال بنا .. كل ما عليك هو أن تضغط الزر ، وتذكر رقم قطعة الأرض التى تمتلكها ، ثم تخبرنا ما لديك .. هل يمكنك فعل هذا ؟

أومأ (خالد) برأسه ، قائلًا :

ـ بالتأكيد .

وراحت شفتاه ترتجفان فى توتر بالغ ، وهو يتابع انصراف الضابط وجنوده ، فى واحدة من سيارات الجيش ، ثم أغلق الباب فى سرعة ، واستند بظهره إليه لاهثًا ، وهو يتمتم :

ـ ماذا أفعل ؟.. ماذا أفعل ؟

انتبه بغتة إلى أن (هبة) ليست إلى جواره ، فهتف فى هلع :

ـ (هبة) .. أين أنت ؟!

أتاه صوتها من داخل حجرة النوم ، وهى تقول فى غضب :

ـ أنا هنا ، ولن أتحدَّث إليك .

اتجه إليها فى حجرة النوم ، ورآها جالسة على طرف الفراش ، وقد زوت ما بين حاجبيها الصغيرين ، ومطَّت شفتيها ، وعقدت ذراعيها ، معلنة غضبها ، فجلس إلى جوارها ، وأحاطها بذراعه كلها ، وهو يقول فى حنان :

ـ أأنت غاضبة منى ؟

هتفت :

ـ نعم .. سأخاصمك طوال عمرى كله ؛ لأنك كذبت على العم الضابط .. ما رأيته لم يكن حلمًا أو خيالًا ، وأنت تعرف هذا .

ربَّت عليها حانيًا ، وهو يقول :

ـ حبيبتى الصغيرة .. أنت الآن فى الخامسة من عمرك فحسب ، وفى هذه السن يصعب على الطفل التفرقة ما بين الأحداث الحقيقية ، والأحلام التى يراها فى نومه ، و ...

قاطعته غاضبة :

ـ ليس حلمًا .. ليس حلمًا .

ثم قفزت من الفراش ، ووضعت قبضتيها الصغيرتين فى وسطها ، وهى تستطرد :

ـ ثم إن الأحلام لن تمنحنى هدية .. أليس كذلك ؟

تذكَّر أمر الهدية ، فى تلك اللحظة فقط ، فتطلَّع إلى ابنته فى مزيج من القلق والحذر ، وهو يتمتم :

ـ الهدية ؟!..

هتفت به :

ـ نعم .. لقد أهدونى هذه .

وأسرعت إلى دولاب ملابسها ، والتقطت منه علبة متوسِّطة الحجم ، وفتحتها قائلة :

ـ انظر كم هى جميلة .

ولم يكد بصر (خالد) يقع على ذلك الشىء ، الذى برز من العلبة ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة ..

بل فى ذهول ..

ذهول تام ..

★ ★ ★

« هذا الرجل يكذب ، أو يخفى شيئًا ما .. » .

ألقى الضابط هذه العبارة فى حزم واثق ، فى مواجهة رئيسه ، الذى عقد حاجبيه فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ ولماذا كوَّنت هذه الفكرة ؟

أجابه الضابط :

ـ كان يهرع إلى الخارج حاملًا حقيبتين كبيرتين ، لم يحكم إغلاقهما جيدًا ، مما يوحى بأنه يتحرَّك على عجل ، وفى توتر شديد ، وعلى الرغم من هذا فقد ادعى أنه على موعد فى (مديرية التحرير) ، ثم لم يهتم حتى بإلغاء الموعد ، عندما أخبرته بأمر حصار المنطقة ، بل ولم يطلب تلك المؤن والوقود ، اللذين أشار إلى نفادهما ، مما يوحى بأنه كان كاذبًا فى هذا الشىء .

أومأ رئيسه برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ إنه أمر يبعث على الشك بحق .

قال الضابط :

ـ ليس هذا فقط يا سيِّدى ، ولكن اضطرابه الشديد أيضًا ، عندما سألته عما إذا كان قد رأى أمرًا غريبًا ، ثم حديث ابنته عن الأقزام السبعة .

هزَّ رئيسه رأسه ، وهو يقول :

ـ هذا الحديث طبيعى للغاية ، بالنسبة لطفلة فى مثل عمرها .. لقد شاهدت هذا الفيلم منذ عدة سنوات مع ابنتى ، وظلَّت تتحدَّث عن الأقزام لعام كامل .

قال الضابط ، وهو يشير بسبَّابته :

ـ ولكن والدها توتر فى شدة ، عندما بدأت تتحدّث عن هؤلاء الأقزام ، وحاول منعها من الاستمرار بأى شكل .

صمت رئيسه لحظات ، وهو يزن الموقف فى رأسه ، ثم قال :

ـ إذن فأنت تعتقد أن هذا الشخص قد رأى شيئًا ، يتعلّق بالجسم الغريب ، الذى نبحث عنه .

هتف الضابط :

ـ بل وربما أجرى اتصالًا ما معه يا سيِّدى .

صمت رئيسه لحظات أخرى ، ثم قال :

ـ هذا الأمر يحتاج إلى تحريات أكبر .. سنراقب هذا الرجل ومنزله سرًا ، حتى تلتقط ما يؤيد قولك ، قبل أن نلقى القبض عليه .

سأله الضابط :

ـ ولماذا لا نذهب لاستجوابه ، على نحو مباشر ؟

لوَّح رئيسه بكفه ، وهو يقول :

ـ لنفس السبب الذى رفضوا من أجله إخلاء المنطقة ، وفضّلوا محاصرتها .. إننا مازلنا نجهل طبيعة الخصم الذى نواجهه يا رجل ، وربما كان بشرى الهيئة ، أو كانت لديه قدرة على انتحال هيئات أخرى .. صحيح أن هذا الكلام يبدو أقرب إلى الخيال ، ولكنه يتناسب مع الموقف كله ، بغرابته وغموضه .. إنهم يخططون لكل شىء يا رجل ، وليس علينا سوى الالتزام بالأوامر ، والـ ...

قاطعه بغتة أزيز جهاز اتصال الطوارئ الخاص ، فالتقطه فى سرعة ولهفة ، وهو يقول :

ـ هنا القيادة .. من يتحدّث ؟

أتاه صوت أحد ضباطه ، يجيب :

ـ من الفرقة التاسعة إلى القيادة .. لقد عثرنا على شىء سيثير دهشتكم للغاية .

هتف به الرئيس :

ـ هل وجدتم تلك القبة ؟!

أجابه الرجل والانفعال يغمر صوته :

ـ بل عثرنا على ما هو أغرب يا سيِّدى .

وصمت لحظة قبل أن يجيب :

ـ عثرنا على طائرات الهليوكوبتر الثلاث المفقودة ، وفى موضع لا يمكن أن تخطئه عين .

واتسعت عينا الرئيس فى دهشة بالغة .

★ ★ ★

٥ ـ الحيرة ..

اتسعت عينا (خالد) عن آخرهما ، فى ذهول تام ، وهو يحدّق فى العلبة التى تحملها ابنته ، والتى برزت منها كرة حمراء ، ينبعث منها ضوء باهت ..

ولم يكن شكل الكرة ، أو لونها ، أو حتى الضوء المنبعث منها ، السبب المباشر لدهشته وذهوله ..

وإنما كان موضعها ..

لقد فتحت (هبة) العلبة ، فوثبت منها الكرة ، وتعلّقت فى الهواء ، وكأنما لاتربطها أية علاقة بالجاذبية الأرضية(*) ..

وهتفت (هبة) فى سعادة ، وهى تمدّ يدها نحو الكرة :

ـ هل رأيت جمالها يا أبى ؟

صاح (خالد) :

ـ لا .. لا تلمسيها :

ولكنها دفعتها بيدها فى رفق ، وهى تقول :

ـ لماذا ؟.. إنها طريفة للغاية .

ومع دفعتها الرقيقة ، سبحت الكرة فى الهواء فى بطء ، وتحرّكت فى نعومة أنيقة ، وكأنها داخل مركبة فضائية ، تجاوزت حدود الجاذبية ، وغرقت فى منطقة انعدام الوزن(**) ..

(*) الجاذبية الأرضية : هى قوة جذب (الأرض) للأجسام ، وهى التى تجعل لكل جسم وزنًا ، وقوة جذب الأرض للجرام تساوى ٩٨٠ دايْنًا تقريبًا ، وهى تختلف من مكان إلى آخر ، على سطح الأرض ..

(**) انعدام الوزن : حالة خاصة بالأجسام ، التى تدور حول كوكب ما ، ـ

وتابع (خالد) حركة الكرة فى ذهول ، فى حين جرت خلفها (هبة) ، وهى تقول ضاحكة فى سعادة :

ـ إنها تطير يا أبى .. كرتى تطير .

ودفعتها بأصابعها مرة أخرى ، نحو الجدار ، ولكنها لم تكد تبلغه ، ودون أن ترتطم به ، حتى دارت حول نفسها ، وسبحت فى الاتجاه الآخر ، و (خالد) يتابع مسارها المتقن ، وقد هوى قلبه تمامًا بين قدميه ..

الآن لم تعد هناك ذرة واحدة من الشك ..

هناك قوة مجهولة تعبث بهذا المكان ..

قوة تستهدفه ، أو تستهدف ابنته ..

وفى عصبية متوترة ، هتف :

ـ هيّا .. سنغادر هذا المكان .. هيّا .

تطلّعت إليه فى دهشة ، وقالت :

ـ ولكن العم الضابط قال : إنه لا يمكننا أن نرحل .

هتف فى عصبية :

ـ فليطلقوا علينا النار إذن .

قالت متوترة :

ـ وماذا عن (ميكى) ؟.. هل نرحل ونتركه وحده ؟

ـ حيث يتم التعادل التام ، بين قوة الجذب ، والقوة الطاردة المركزية ، التى يولّدها الدوران ، وهذا لا يعنى أن الجاذبية فى هذه المنطقة تساوى صفرًا ، وإنما يعنى ضياع معالمها ، مع تعادلها مع القوة المضادة ، فتبعًا لقانون الجاذبية ، لا تصل قوة الجذب إلى الصفر ، إلا فى نقطة الما لا نهاية .

أجابها وهو يحمل الحقيبتين :

- (ميكى) ذهب ولن يعود .

صرخت (هبة) :

- لا .. لا تقل هذا يا أبى .. (ميكى) سيعود .. لقد وعدونى .

صاح فى عصبية :

- قلت لك : لن يعود .. لن يعود .. هم الذين سيعودون إلى هنا .. ألا تدركين ما الذى يسعون إليه ؟ إنهم يبحثون عن عينات من كوكبنا .. عينات من المياه ، والتربة ، والرمال ، والحيوانات .. بل والبشر أيضا .. إنهم يريدون اختطافك .. ألم تفهمى هذا ؟

ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تقول فى أسى ، لا يتناسب قط مع طفولتها وبراءة نفسها :

- إنهم لا يريدون اختطافى يا أبى .. بل يلعبون معى فحسب .

صاح بها :

- خطأ .. خطأ .. إنهم يخططون لسرقتك منى ، وحملك إلى كوكبهم ، ولن أسمح بحدوث هذا قط .. هل تفهمين ؟.. لن أسمح به أبدا ..

انهمرت دموعها على وجنتيها ، وهى تقول :

- لا يا أبى .. أنت تخدعنى .. لو أنهم أرادوا سرقتى ، فلماذا لم يفعلوا هذا أمس وأنت نائم ؟.. لماذا اكتفوا باللعب معى ؟

صدمته تساؤلاتها البريئة ، التى ارتطمت بحاجز المنطق فى عقله ، فأيقظت فيه رؤية جديدة ، لم ينتبه إليها من قبل ..

لو أنهم أرادوا اختطافها ، فلماذا لم يقدموا على هذا بالفعل ؟

إنه لن يستطيع حتى منعهم لو حاولوا ..

لقد رأى بنفسه ما يثبت أنهم أكثر قوة وتقدما ، وأنه لا قبل له بالتصدى لهم قط ..

وسقطت الحقيبتان من قبضته ، بعد أن انكشفت لبصيرته الحقيقة ، وعاد ذلك الشعور الرهيب بالعجز والوحدة والحيرة يحيط به ، وانتقل إلى لسانه ، الذى ردد فى خفوت :

- ماذا يريدون منا إذن ؟.. ماذا يريدون ؟

وبقى سؤاله أشبه بتلك الكرة المضيئة ، معلقا فى سماء الحجرة .. وبلا جواب ..

★ ★ ★

تحوّل ذلك الجزء من الصحراء الغربية فجأة ، إلى ترسانة كاملة من الأسلحة ، حتى بدا أشبه بساحة قتال ، تستعد فيها فرقة من الجيش ، لشن هجوم شامل على العدو ، فقد استقرّت طائرات الهليوكوبتر الحربية الثلاث على الرمال ، وحولها فرقة من المشاة ، تتخلّلها عدة سيارات مصفحة ومجنزرة ، وأربع دبابات حديثة ، بمدافعها المتحفزة ، وحلقت فوقها سبع طائرات هليوكوبتر أخرى ، هبطت من بينها واحدة ، تضمّ قائد القوات الجوية ، وقائد الدفاع الجوى ، وثلاثة من كبار الضباط ، ولقد غادروها جميعا فور هبوطها ، وقبل حتى أن تتلاشى أو تهدأ عاصفة الرمال ، التى أثارتها مراوحها ، وسأل قائد القوات الجوية رئيس فرقة البحث فى اهتمام :

- كيف حال الطائرات الثلاث ؟

أجابه الرجل ، وهو يؤدى التحية العسكرية :

- فى حالة ممتازة للغاية يا سيدى .. بل ويمكننى أن أقول بكل ثقة ، إنها فى حالة أفضل مما كانت عليه ، عندما أقلعت من قاعدتها .

سأله القائد فى دهشة :

ـ وكيف هذا ؟

أجابه الرجل :

ـ لقد تم غسلها وتنظيفها وتشحيمها ، وزوِّدت بالوقود ملء خزانها ، ولمِّع بعضهم واجهات العدادات ، ونفض الرمال عن المقاعد .. باختصار .. إنها تبدو كالجديدة .

سأله القائد فى شك :

ـ وهل تأكَّدتم من أنها الطائرات نفسها ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد راجعنا أرقام المحركات ، وأرقام الأجسام الخارجية ، وكلها مطابقة :

هزَّ القائد رأسه فى حيرة ، قبل أن يسأل فى لهفة :

ـ والطيارون .. ماذا عنهم ؟

أجابه الرجل على الفور :

ـ كلهم فى خير حال ، والأطباء يفحصونهم الآن فى تلك الخيمة هناك .

اتجه القادة مباشرة إلى الخيمة ، واستقبلهم فريق الأطباء والطيارون الثلاثة ، وسأل قائد الدفاع الجوى فى قلق :

ـ كيف حال الرجال ؟

أجابه كبير الأطباء :

ـ فى خير حال ، إلى حد يثير الدهشة ، كما لو أن فريقًا من أمهر الاطباء قد اعتنى بهم عناية بالغة ، حتى أن الرائد (صفوت) كان

يعانى ارتفاعًا طفيفًا فى ضغط الدم ، وهو الآن فى صحة جيدة للغاية ، وضغط دمه مثالى ، والنقيب (ميشيل) كان يخضع للعلاج ، بشأن التهاب مزمن فى الأذن الخارجية ، ولكنه شفى منه تمامًا ، ولكن أكثر الحالات غرابة ، هى حالة النقيب (عبدالله) .

سأله القائد فى اهتمام :

ـ وماذا عنه ؟

هزَّ كبير الأطباء رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ لقد أصيب قبل إقلاعه أمس بجرح فى ذراعه اليمنى ، فضمده له زميل ، وأخبره بضرورة ذهابه إلى العيادة الطبية لخياطة الجرح ، فور عودته من المهمة .

تبادل القادة نظرة حائرة ، ثم سأل أحد الضباط الكبار :

ـ حسن ، وما العجيب فى هذا ؟

تنهَّد كبير الأطباء ، وقال :

ـ هذا الجرح لم يعد له وجود .

هتف الجميع فى آن واحد :

ـ ماذا ؟

أشار كبير الأطباء إلى ذراع النقيب (عبدالله) ، وهو يقول :

ـ لقد التأم الجرح تمامًا ، ولم يعد ظاهرًا منه سوى ندبة خفيفة ، وهذا لا يحدث إلا بعد أسبوع من العلاج الجيد على الأقل .

عاد القادة يتبادلون نظرة حائرة ، ثم اتجه قائد الطيران إلى الطيارين الثلاثة ، وقال :

ـ حمدًا لله على سلامتكم يا رجال .. أخبرونا .. ما الذى حدث لكم بالضبط ؟

هزوا رءوسهم فى حيرة تامة ، وأجاب الرائد (صفوت) :

ـ المشكلة أننا لا نذكر هذا قط يا سيِّدى .. آخر ما تبقَّى فى ذاكرتنا هو أننا شاهدنا قبة كبيرة ، تختفى وسط الرمال ، فاتجهنا إليها .. وبعدها تلاشت ذاكرتنا تمامًا ، حتى وجدنا أنفسنا داخل طائراتنا ، وسط الصحراء ، وحولنا رجال المشاة .

نقل القائد بصره إلى النقيب (ميشيل) والنقيب (عبدالله) ، وسألهما :

ـ أهذا ما تذكرانه أيضًا ؟

أجاباه بمزيج من الحيرة والقلق :

ـ نعم .. هذا كل ما نذكره .

صمت القائد لحظات ، وهم يحاولون استيعاب الموقف كله ، ثم قال قائد القوات الجوية فى حزم :

ـ فليكن .. انقلوا الطيارين الثلاثة إلى مستشفى القوات الجوية فى (العباسية) ، ليتم عمل الفحوص اللازمة لهم ، وسنرسل ثلاثة طيارين آخرين لإعادة الطائرات ، ليتم فحصها فى القاعدة بوساطة الخبراء ، وفى الوقت نفسه سنواصل عملية البحث فى المنطقة .

قال أحد الضباط الكبار ، وهو يفرد خريطة للمنطقة :

ـ لو أردت رأيى يا سيِّدى القائد ، فالسر كله يكمن فى هذه المنطقة بالذات .

قالها وهو يشير إلى دائرة صغيرة ، تحيط بموقع إحدى مزارع استصلاح الأراضى الجديدة ..

وكانت هذه المزرعة تخص (خالد) ..

(خالد) بالذات ..

★ ★ ★

جلس (خالد) مبهورًا مأخوذًا ، يتابع ابنته ، التى راحت تلهو بالكرة العجيبة فى مرح وسعادة ، وهو يتساءل : ما الذى ينبغى عليه أن يفعله ؟..

لقد كانت هذه المزرعة هى أمله الوحيد فى الحياة ، ومن أجلها

بذل أقصى طاقته ، وقاتل بكل إصراره وعناده ، وأنفق كل ما ادخره فى حياته ، وها هوذا الآن يتمنى لو تركها وهرب ..

ولكن ، هل يُجدى الفرار ؟

هل يمكنه أن يحلّ المشكلة ؟!..

إنه يخشى هؤلاء الغرباء ، الذين لم يقع بصره عليهم قط .. الغرباء الذين تركوا شخصًا آليًا فى البئر ، واختطفوا (ميكى) ، وشاهدتهم ابنته ..

ومن العجيب أنهم لم يحاولوا الإساءة إليها ، بل اكتفوا باللهو معها ، ومنحوها هذه الهدية العجيبة ، بدلًا من اختطافها مثلما فعلوا مع (ميكى) ..

وفجأة ، قفز إلى ذهنه خاطر مخيف ، جعل جسده يرتجف فى قوة ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ..

ماذا لو أنهم قد فعلوا شيئًا ما بابنته ، دون أن تدرى ؟!..

ربما زرعوا فى جسدها شيئًا ما ، أو عرضوها لتجربة عجيبة ، أو ...

انتفض جسده مرة أخرى ، وهو يحدّق فى الكرة الطائرة ، وهتف فى أعماقه :

ـ أو أن هذه الهدية العجيبة تفعل هذا .

ولم يكد هذا الخاطر يستقر فى ذهنه ، حتى هتف بغتة :

ـ كفى !

قفزت (هبة) من مكانها مذعورة ، وسألته فى خوف :

ـ ماذا حدث يا أبى ؟

أشار إلى الكرة ، وهو يقول فى حدة :

ـ كفى عبثًا بهذا الشىء .. إننا نجهل حتى ما هو .

قالت فى حيرة :

ـ إنها كرة .

صاح فى عصبية :

ـ إنها ليست مجرّد كرة .. هيًا .. أطيعى الأمر ، وأعيدى تلك الكرة العجيبة إلى علبتها .

مطّت شفتيها فى اعتراض ، وقالت :

ـ سوف أخاصمك طويلًا .

ثم اتجهت إلى العلبة ، وفتحتها ، فنهض هو ليلتقط الكرة ، ويعيدها إلى العلبة ، ولكنه فوجئ بابنته تقول فى بساطة :

ـ عودى إلى العلبة .

وتسمّر فى مكانه مذعورًا ، عندما سبحت الكرة نحو العلبة مباشرة ، وكأنها تطيع الأمر ، واستقرّت داخلها فى هدوء ، فأغلقتها (هبة) ، وهى تقول :

ـ عندما تشترى لعبة لنفسك ، سأمنعك أنا أيضًا من اللهو بها .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفعت طرقات قوية على باب المنزل ، فوثب (خالد) من مكانه فى هلع ، وهو يهتف :

ـ من بالباب ؟

أتاه صوت الضابط ، الذى التقى به فى الصباح ، وهو يقول :

ـ إنه أنا .

راح قلب (خالد) يخفق فى عنف ، وهو يفتح الباب ، واستقبله وجه الضابط الباسم ، وهو يسأله :

ـ كيف حالك ؟.. لقد نسيت أن تعطينى قائمة الطلبات .

قال (خالد) فى ارتباك :

ـ أية قائمة ؟

اتسعت ابتسامة الضابط ، وضاقت عيناه فى خبث ، وهو يقول :
ـ عجبًا ؟!.. كيف تنسى المؤن والوقود ؟
هتف (خالد) :
ـ آه .. إننى لم أنسها ، ولكننى لم أدر كيف أبلغكم بما أريد .
أشار الضابط بيده إلى الداخل ، وهو يقول :
ـ لديك جهاز اللاسلكى .
ارتبك (خالد) مرة أخرى ، وهو يقول :
ـ الواقع أننى لم أعتد وجوده هنا .
أومأ الضابط برأسه ، وكأنه يتفق معه ، ثم سأله بغتة :
ـ أين ابنتك الصغيرة ؟
سرت قشعريرة فى جسد (خالد) ، وهو يقول فى اضطراب :
ـ ما الذى تريده منها ؟
لم ترق له ابتسامة الضابط ، وهو يقول :
ـ وما المشكلة فى أن ألتقى بها ؟.. إنها طفلة ذكية ، وكنت أرغب فى أن ألقى عليها التحية فحسب .
فكّر (خالد) فى أن يدّعى أن ابنته نائمة ، ولكنه فوجئ بها إلى جواره ، تبتسم فى براءة ، وتقول للضابط :
ـ كيف حالك يا عماه ؟
ابتسم لها الضابط ، وهو يقول :
ـ كيف حالك يا صغيرتى ، وكيف حال أقزامك السبعة ؟
أسرع (خالد) يقول :
ـ إنه مجرّد خيال جامح ، و ...

قاطعته الصغيرة فى حدة :
ـ أبى .. قلت لك : إنه ليس خيالًا .
أمسك الضابط كفها الصغيرة ، وتجاوز والدها ، وهو يقودها إلى الداخل ، قائلًا :
ـ بالطبع يا صغيرتى .. أنا أعلم أنه ليس خيالًا ، وأنا هنا لأتحدّث معك بشأنه .. أخبرينى .. كيف التقيت بهم ؟.. ماذا كانوا يرتدون ؟ وبأية لغة يتحدثون ؟
هتف (خالد) فى حدة :
ـ اترك الصغيرة وشأنها .. إنها لا تفهم ما تتحدّث عنه .. كل ما فى الأمر أنها فقدت كلبها (ميكى) بعد إصابته ، وشعورها بالوحدة آلمها كثيرًا ، فراحت تصنع لنفسها عالمًا آخر ، من الأقزام والأطفال ، الذين تراهم فى أفلام الرسوم المتحرّكة(*) .
قالت (هبة) فى حماس :
ـ ولكن (ميكى) سيعود .. لقد وعدونى بإرجاعه ، بعد علاج ساقه المصابة .
قال (خالد) فى عصبية :
ـ هل ستبنى فكرتك على أقوال طفلة فى الخامسة من عمرها ؟
التفت إليه الضابط ، وسأله فى خبث :
ـ فكرتى عن ماذا ؟

(*) الرسوم المتحرّكة : نوع من الأفلام السينمائية ، تجمع فيها عدة رسوم ، وتُرتّب ، ويتم تصويرها لقطة لقطة ، بآلة تصوير سينمائية ، ثم تضاف إليها الأصوات المناسبة ، وأول من أخرج هذه الأفلام فى (فرنسا) (أميل كوهيل) ، عام ١٩٠٥ م .

لوّح (خالد) بذراعه كلها فى توتر ، وهو يقول :
ـ الفكرة التى تُلقى من أجلها كل هذه الأسئلة .
انتقل الخبث إلى ابتسامة الضابط ، وهو يقول :
ـ إنه مجرّد حديث ودى مع الصغيرة ، لماذا تصوّرته أى شىء آخر خلاف هذا ؟
ارتج على (خالد) ، فحدّق فى وجه الضابط فى صمت ، فى حين عاد هذا الأخير يلتفت إلى (هبة) ، ويسألها :
ـ هل قالوا إنهم سيعالجون (ميكى) ؟
أجابته فى بساطة :
ـ نعم .. وسيعيدونه إلىّ .
هتف (خالد) فى عصبية :
ـ كلام أطفال .. مجرّد كلام أطفال .. لقد سقط الكلب ، وانكسرت ساقه ، ثم ابتلعته حفرة ما فى الصحراء ، ولقى مصرعه فيها .. هذا أمر واضح .. إنه ...
قبل أن يتم عبارته ، صك مسامعهم صوت نباح قوىّ ، يأتى من بعيد ، فهتفت (هبة) فى سعادة :
ـ (ميكى) .. لقد عاد .
وأسرعت إلى الباب ، فتبعها الضابط فى لهفة ، وخرج خلفهما (خالد) ، وارتفع حاجباه عاليًا ، حتى كادا يمتزجان بأطراف شعر رأسه ، وهو يحدّق فى ذلك المشهد ، الذى بدا له عجيبًا .. عجيبًا للغاية .

★ ★ ★

٦ ـ العـودة ..

كانت الفدادين المائة ، التى تكوّن مزرعة (خالـ) ، تمتد أمام عينيه لمسافة طويلة ، وتنتهى بحاجز من الأسلاك العادية ، ومن عند هذا الحاجز برز (ميكى) ، وهو يعدو بكل قوته ، متجهًا إلى المنزل ..
ولم يصدّق (خالد) عينيه ..
لقد كان الكلب يعدو فى قوة ونشاط ، وكأن ساقه لم تكسر قط ، فى حين اندفعت (هبة) نحوه ، صائحة فى فرحة عارمة :
ـ لقد صدقوا فى وعدهم .. لقد أعادوا إلىّ (ميكى) .
التقت بالكلب على مسافة عشرة أمتار من المنزل ، فراح يدور حولها فى سعادة ، وينبح فى فرح ، فالتفت الضابط إلى (خالد) ، وقال :
ـ لا يبدو لى أبدًا ككلب مصاب .
غمغم (خالد) والدهشة تملأ وجهه ، وتطلّ فى وضوح مع نبرات صوته المضطربة :
ـ ولكنه كان كذلك بالفعل .
التفت إليه الضابط ، وسأله فى صرامة :
ـ أأنت واثق من أنك لم تخف عنا شيئًا ؟
هتف (خالد) فى عصبية شديدة :
ـ اسمع أيها الضابط .. أنا مواطن مدنى ، وليس من حقك أن تستجوبنى .. لا شأن للجيش بى على الإطلاق .

أطلّت الصرامة من عينى الضابط ، وهو يقول :

ـ ادخر كلامك هذا لموقف يستحقه .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ خذوا الكلب .

صاحت (هبة) :

ـ لا .. لا تأخذوا (ميكى) .

ولكن الجنود انقضوا على الكلب ، وألقوا فوقه شبكة سميكة ، تستخدم لتمويه السيارة فى أثناء المناورات ، فزمجر (ميكى) ، ونبح ،

وراح يضرب الشبكة بمخالبه ، ويعضّها بأنيابه ، و (هبة) تصرخ :

ـ اتركوا (ميكى) .. لا تفعلوا به هذا .

وقال (خالد) للضابط فى غضب :

ـ ليس هذا من حقكم أيضًا .

ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

كان رجاله قد حملوا الكلب إلى السيارة ، فقفز هو إلى المقعد المجاور للسائق ، و (هبة) تصرخ فيه :

ـ أنا لا أحبك .. أنا أكرهك .. اترك (ميكى) وإلا ضربتك .

وتطلّع هو إليها فى هدوء ، ثم رفع عينيه إلى (خالد) ، وقال فى صرامة :

ـ سأعود إليها .

وبإشارة من يده ، انطلقت السيارة مبتعدة ، ونباح (ميكى) يتواصل داخلها ، فألقت (هبة) نفسها بين ذراعى أبيها ، وهى تبكى هاتفة :

ـ لماذا أخذوه يا أبى ؟!.. لماذا أخذوا (ميكى) ؟

ربّت والدها عليها مشفقًا ، وضمّها إليه فى حنان ، وهو يتابع ببصره السيارة ، وهى تبتعد وتبتعد ، حتى اختفت فى قلب الصحراء ..

وامتلأت نفسه بالخوف ..

لم يكن حملهم للكلب هو سبب مخاوفه ، وإنما كانت تلك الجملة الأخيرة ، التى نطق بها الضابط قبيل انصرافه ..

سيعود من أجل ابنته ..

سيعود فى المرة القادمة ليأخذها ، كما أخذ (ميكى) ..

وجمح به الخيال ، فتصوّر الجنود ينقضون على ابنته الصغيرة ، ويلقون شبكتهم فوقها ، ثم يسحبونها أرضًا ، ويضعونها فوق سيارتهم ، كما فعلوا مع الكلب ..

رآها بعين الخيال ، ترقد فوق منضدة تشريح ، والعلماء يغرسون مشارطهم فى جسدها الصغير ، ليبحثوا عما تركه الغرباء داخلها .. سيحولونها إلى فأر تجارب ..

مجرَّد عينة للفحص ..

وجعلته هذه التصورات يضمّ ابنته إلى صدره فى قوة ، ويهمس بصوت مبحوح ، خرج على الرغم منه أشبه بالفحيح :

ـ ينبغى أن نرحل من هنا .. من الضرورى أن أبتعد عن هذا المكان ..

كان قد اتخذ قراره ، ولن يتراجع عنه أبدًا ..

أبدًا ..

★ ★ ★

« هذا أغرب شىء رأيته ، فى حياتى كلها !! » .

نطق كبير الأطباء بهذه العبارة ، بعد أن انتهى من فحص (ميكى) ، بمعاونة أحد كبار الأطباء البيطريين ، وامتلأ صوته بالدهشة والحيرة ، وهو يستطرد ، أمام قائد القوات الجوية :

ـ الفحوص وصور الأشعة أثبتت أن الكلب كان مصابًا بكسر فى ساقه بالفعل ، ولكن هذا الكسر تمت معالجته بوسيلة لا مثيل لها فى المراجع الحديثة .. لقد أدخلوا فى ساقه إبرة دقيقة ، ووضعوا العظام فى موضعها الصحيح يدويًا ، ثم حقنوا مادة عجيبة ، ألصقت الطرفين المكسورين ببعضهما ، وأعادتهما إلى ما كانا عليه ، بحيث استطاع الكلب أن يتحرك ، واستعاد نشاطه كله .

قال القائد فى توتر :

ـ من الواضح أنهم يفوقوننا كثيرًا من تقدّمهم العلمى ، وهذا يثير فى نفسى المزيد من الخوف .

سأله كبير الأطباء :

ـ لماذا ، ما داموا لم يتسبَّبوا فى إيذاء أى مخلوق ؟

أجابه القائد فى سرعة :

ـ حتى هذه اللحظة ، ولكن من يدرى ما الذى يخططون له فيما بعد .. ربما كان هذا مجرَّد خدعة ؛ لاكتساب ثقتنا ، أو امتصاص شكوكنا ، وبعدها ينقضون علينا بلا رحمة ، ونحن نجهل كل شىء عنهم .

اعتدل الضابط فى وقفته العسكرية ، وهو يقول :

ـ أعتقد أن الصغيرة يمكنها أن تمدّنا ببعض المعلومات .

سأله قائد القوات الجوية :

ـ أية صغيرة ؟

أجابه الضابط :

ـ صاحبة هذا الكلب .. إنها طفلة فى الخامسة من عمرها ، وتقول إنها قابلت الغرباء ، وتحدَّثت إليهم ، و ...

هبَّ القائد من خلف مكتبه ، وهو يهتف :

ـ ولماذا لم تحضرها إلينا ؟

ارتبك الضابط ، وهو يقول :

ـ إنها طفلة صغيرة ، ولقد فكَّرت فى أنه من الأفضل أن نتأكّد أوَّلًا من صحة قصتها ، بعد فحص الكلب ، و ...

قاطعه القائد فى غضب :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟.. هذه الطفلة هى سبيلنا الوحيد ، لجمع شىء من المعلومات ، عن خطر نواجهه ، ونحن نجهل كل شىء عنه .. هيًا أيها الضابط .. اذهب وأحضر لنا هذه الطفلة على الفور .. هل تفهم ؟!.. أريد هذه الطفلة .

ودق سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، وهو يستطرد :

ـ أريدها بأى ثمن ..

★ ★ ★

كانت الشمس قد بدأت رحلتها نحو الغروب ، عندما همست (هبة) لوالدها فى خوف ، وهى تتسلل معه إلى سيارته (الجيب) ، التى أخفاها خلف المخزن :

ـ لماذا نفعل هذا يا أبى ؟

أجابها فى توتر :

ـ لابد لنا من الهروب من هنا ، قبل أن يعود ذلك الضابط لاصطحابك .

سألته :

ـ ولماذا يفعل هذا ؟

أجابها والمرارة تعتصر قلبه :

ـ إنهم يريدون أن يجروا تجاربهم عليك .. لن يعنيهم أنك طفلة ، أو أنك ابنتى .. كل ما سيسعون إليه هو الحصول على الحقائق .. هذا كل ما يهمهم .

بلغا السيارة فى تلك اللحظة ، فسألته وهو يضعها داخلها :

ـ ولكن ذلك الضابط يبدو ظريفًا .. أليس كذلك ؟

قال فى حدة ، على الرغم من صوته الخافت :

ـ كلهم يبدون كذلك ، حتى تبرز مخالبهم .

تطلّعت إليه فى حيرة ، وغمغمت :

ـ لست أفهم شيئًا .

احتلّ مقعد القيادة ، وأدار المحرّك ، وهو يقول :

ـ عندما تكبرين ، ستفهمين كل شىء .

انطلق بالسيارة فى حذر ، مستترًا بالمخزن ، ومستغلًا ذلك الظل الطويل ، الذى صنعه مع أشعة الشمس ، مع قرب الغروب ، وراح قلبه يدق فى قوة ، وهو يتمنى ألا يشعروا بفراره ..

كان قد اتخذ قراره هذا فى حزم ، بعد أن أدرك أنهم سيعودون ، إن عاجلًا أو آجلًا ، ليسلبوه ابنته الصغيرة ، أحب مخلوق إلى قلبه ، بعد رحيل زوجته ..

وابنته (هبة) هى حياته كلها ، وأمله ، وروحه ، وأحلامه .. كل ما يفعله فى حياته من أجلها ..

حتى هذه المزرعة ، كان ينوى استصلاحها من أجلها ، حتى تحمل اسمها يومًا ، وتمنحها عائدًا مجزيًا ، يكفل لها حياة كريمة ..

وعندما يفرّ من المكان ، ويترك كل حقائبه وأشياءه خلفه ، فإنما يفعل هذا أيضًا من أجلها ..

« انتظر يا أبى .. » .

هتفت بها (هبة) فى ذعر ، جعله يضغط الفرامل فى حركة غريزية ، وهو يهتف بها :

ـ ماذا ؟.. ماذا حدث ؟

صاحت فى أسى :

ـ نسيت الهدية هناك .

تملكه الغيظ ، وهو يقول فى حدة :

ـ لن نأخذ هذه الهدية اللعينة معنا .

لوّحت بذراعيها ، قائلة :

ـ ولكننى أحبها ، وأريدها معى .

أمسك كتفيها الضئيلتين ، وتطلّع إلى وجهها مباشرة ، وهو يبذل قصارى جهده للسيطرة على أعصابه الثائرة ، وقال :

ـ اسمعينى يا (هبة) .. اسمعينى جيدًا .. لا يمكننا أبدًا أن نأخذ هذه الهدية معنا ؛ لأننا لا نعلم ماهيتها .. من يدرى ؟.. أليس من المحتمل أن تكون جهاز تعقب مثلًا ، أو أنها تصدر نوعًا من الإشعاعات الضارة ؟

قالت باكية :

ـ لست أفهم شيئًا ، ولكننى أريد لعبتى .

تنهد ، وقال :

ـ من الطبيعى ألا يمكنك فهم ما أقول يا صغيرتى ، ولكن كل ما أطلبه منك هو الثقة .. امنحينى ثقتك يا (هبة) ، وتأكدى من أن أباك لن يفعل قط إلا ما هو فى صالحك .. هل تثقين بأبيك يا (هبة) ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، والدموع تغرق وجهها ، فربّت على خدّها فى حنان ، وهو يكمل :

ـ يومًا ما ستعلمين أننى فعلت هذا من أجلك ، وأننى ضحيت بكل شىء ، عن طيب خاطر ؛ لأنقذك من الخطر .

سالت دموعها فى صمت ، فاعتدل ، وانطلق بالسيارة مرة أخرى مبتعدًا ، وهو لا يدرى إذا ما كان يتجه نحو أمل جديد ، فى أن يحيا مع ابنته فى سلام وأمان ، أم أنه ينطلق ـ دون أن يدرى ـ نحو النهاية .

نهايتهما ..

★ ★ ★

أوقف الضابط سيارته أمام منزل (خالد) ، وقفز منها فى لهفة ، وهو يهتف برجاله :

ـ حاصروا المنزل . ولا تسمحوا لأحد بالخروج دون إذن .

وطرق الباب فى رفق فى البداية ، ولكن طرقاته لم تلبث أن تحوّلت إلى العنف والعصبية ، عندما لم يجد أية استجابة من الداخل ، حتى هتف أخيرًا :

ـ اكسروا هذا الباب .

ضرب اثنان منهما الباب بكتيفيهما ، حتى تهاوى ، ثم اندفع الجميع إلى المنزل ، وقال الضابط فى توتر :

ـ فتشوا المكان كله .. ابحثوا عن أى أثر يمكن أن يرشدنا إليهما .

بدأت عملية تفتيش سريعة للمكان ، وعاد أحد الرجال من الخارج ، قائلًا :

ـ لقد اختفت السيارة ، وآثار إطاراتها تشير إلى أنها انطلقت نحو الشرق .

هتف الضابط فى حنق ، وهو يلوّح بذراعه :

ـ لقد هرب الرجل .. أنا المخطئ .. كان المفروض أن أصطحب الفتاة معى على الفور .

ارتطمت يده فى أثناء حركتها بصندوق صغير ، فسقط أرضًا ، وانفتح فى عنف ..

وتراجع الجميع فى دهشة وذعر ..

لقد وثبت تلك الكرة الحمراء بغتة ، وتعلقت فى الهواء ، وراحت تشعّ ذلك الضوء الباهت ..

ولثوان ، لم ينطق شخص واحد بحرف ما ، ثم اخترق صوت الضابط جدار الصمت بغتة ، وهو يهتف :

ـ كنت أعلم هذا .

ثم صرخ برجاله :

ـ أريد هذا الرجل .. سنطارده عبر الصحراء كلها ، لو استلزم الأمر .

اندفع الجميع نحو سيارتيهما ، ودفع هو الكرة فى حذر إلى داخل الصندوق ، ثم حمله فى حرص ، وانضمّ إليهم ، وهتف :

ـ هيًا ..

وانطلقت السيارتان تطاردان (خالد) وابنته ، والشمس تغوص فى الأفق ، لتتم رحلة الغروب ، ولتغرق الصحراء فى ظلامها الدامس المخيف ..

وفى سيارتهما ، قالت (هبة) ، وهى تلتصق بوالدها فى خوف :

ـ كل شىء مظلم .. أنا أخشى الظلام .

أجابها وهو يزيد من سرعته ، بأقصى ما يمكن أن تحتمله السيارة :

ـ لا تخشى شيئًا وأنا إلى جوارك يا صغيرتى .. كل شىء يسير على ما يرام ، صدقينى .. نحن نبتعد عن الخطر .

قالت مرتجفة :

ـ ولماذا لا تضىء أنوار السيارة ؟

قال فى أسى :

ـ لو فعلت هذا سيكشفون موقعنا على الفور ، وهذا ما أخشاه .

قالت ، وهى تلتصق به أكثر وأكثر :

ـ ولكن الظلام مخيف ، ونحن ننطلق دون أن نرى ما أمامنا .

غمغم :

ـ اطمئنى .. إنه نفس الطريق ، الذى أتينا منه .

لم يكن واثقًا تمامًا مما يقول ، ولكنه حاول أن يبث فيها شيئًا من الارتياح ..

ولم تشعر الصغيرة بهذا الارتياح ، إلا أنها لاذت بالصمت التام ، والتصقت به فى خوف ، وراحت تتطلع أمامها مرتاعة ، محاولة اختراق حجب الظلام ، الذى بدأت حدته تتزايد أكثر وأكثر ، كلما مضى وقت أطول على غروب الشمس ..

وفجأة ، سقط الضوء على السيارة من الخلف ، فانتفض جسد (خالد) فى ذعر ، واستدار يتطلع إلى مصدر الضوء ، وأمكنه أن يميّز سيارتين عسكريتين ، تندفعان نحوه بأقصى سرعتهما ، فصاح فى ابنته :

ـ تشبثى بى جيدًا .

وضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ، فانطلقت السيارة تشق طريقها وسط الصحراء المظلمة ، ووضع الضابط على فمه مكبّرًا صوتيًا ، وهو يهتف :

ـ توقف يا سيِّد (خالد) ، ولا تخش شيئًا .. إننا لن نفعل بابنتك ما يمكن أن يؤذيها .. صدقنىَ .. سنطرح عليها بضعة أسئلة فحسب .

لم يزد هذا القول (خالد) إلا إصرارًا ، فاندفع بسيارته فى سرعة أكبر ، جعلت الضابط يغمغم فى حنق :

ـ هذا الغبى ينطلق بسرعة بالغة ، وسيارته لن تحتمل كل هذا العنف .

كانت سيارة (خالد) ترتج فى عنف شديد بالفعل ، و (هبة) تتقافز داخلها ، وهى تهتف مذعورة :

ـ توقف يا أبى .. توقف أرجوك .. هذا يؤلمنى .

كان قلبه يتمزَّق مع هتافاتها ، ولكنه يخشى فى الوقت نفسه أن يخفِّف من سرعته ، وإلا لحقت به السيارتان العسكريتان ، وانتزعوها منه بالقوة ..

ولكن فجأة ، ارتطم الإطار الأيمن الأمامى بتبة عالية من الرمال ، فانحرفت السيارة إلى اليسار فى عنف ، ووثبت على نحو مخيف ، فضمّ (خالد) ابنته إليه فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ تشبَّثى بى .. تشبثى جيدًا .

ولكن السيارة انقلبت بغتة فى عنف ، وتدحرجت على نحو مخيف ، ثم توقفت على جانبها الأيمن ، وإطاراتها ما زالت تدور فى الهواء ..

وفى ذعر ، وعلى الرغم من الدماء التى تغمر وجهه ، صرخ (خالد) :

(هبة) .. (هبة) .

ولكن ابنته كانت ملقاة أمامه على الرمال ، وقد سالت الدماء من أنفها وفمها ، وبدا من الواضح أنها قد رحلت إلى حيث زوجته .. أمها ..

★ ★ ★

٧ ـ هبة ..

« هبة .. قولى شيئًا يا (هبة) ... » .

أخذ (خالد) يصرخ فى انهيار ، وهو يضم جسد ابنته إلى صدره ، والدماء النازفة من أنفها وفمها تغرق وجهه ، حتى بلغته السيارتان العسكريتان ، وقفز الضابط إليه ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟

وحاول أن يفحص الصغيرة ، ولكن (خالد) تشبَّث بابنته فى قوة ، وأخذ يصرخ فى ثورة :

ـ اتركوها .. اتركوا ابنتى .

صرخ الضابط فى وجهه :

ـ دعنا نفحصها يا رجل .. ربما كان أمامها أمل فى النجاة .

الكلمة الأخيرة وحدها جعلت (خالد) يتركها ، ويتابعها ببصره فى ذهول شارد ، وهم يضعونها فوق الرمال ، والضابط يلصق أذنه بصدرها فى قوة ، ثم سمعه يهتف :

ـ إنها مازالت حية ، ولكن قلبها ينبض فى ضعف شديد .. استدعوا طائرة هليوكوبتر على الفور ؛ لنقلها إلى المستشفى .. أسرعوا بالله عليكم .. إنها تحتضر تقريبًا .

قال (خالد) فى انهيار :

ـ وأنتم تريدونها حية بالتأكيد ، حتى يمكنكم الحصول على المعلومات .

رفع الضابط عينيه إليه فى غضب ، وهو يقول :

ـ المعلومات ؟!.. فلتذهب المعلومات إلى الجحيم يا رجل .. ماذا تتصوَّرنا بالضبط ؟!.. وحوش بلا قلوب تنبض ؟!.. كل ما يهمنا الآن هو أن تنجو ابنتك .. هل تفهمنى ؟.. إننى أب لطفلة فى مثل عمرها ، ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟

سالت الدموع من عينى (خالد) فى مرارة ، وهو يقول :

ـ أنقذها إذن .. أرجوك .. أنقذ حياتها .. إنها أملى الوحيد فى الحياة .. دعنى أقبِّل يديك .

قالها ، وهو يندفع نحو يدى الضابط بالفعل ، فنهره هذا الأخير فى حدة ، هاتفًا :

ـ تماسك يا رجل .. إننا نبذل قصارى جهدنا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى عاد إليه أحد جنوده ، وقال :

ـ لقد اتصلنا بالهليوكوبتر ، وستصل فى غضون ربع الساعة من الآن .

سعلت (هبة) فى تلك اللحظة ، وتناثرت الدماء من فمها وأنفها مع السعال ، فهتف (خالد) :

ـ قل لهم أن يسرعوا .. أرجوك .

ولكن جسد (هبة) الصغير راح ينتفض فى عنف ، ثم يسترخى ، ويعود لينتفض ، فغمغم الضابط فى حزن ، وهو يقاوم دموعه :

ـ لست أعتقد أنهم سينجحوا فى إنقاذها ، مهما أسرعوا .. أنا آسف يا سيِّد (خالد) ، ولكن من الواضح أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، سطع ضوء مبهر بغتة فوق رءوسهم ، وغمرهم تمامًا ، وأغشى أبصارهم ، فهتف الضابط :

ـ إنه ذلك الجسم .

كان هناك جسم مستدير ، أشبه بكرة ضخمة ، معلَّق فى الهواء ،

على ارتفاع عشرة أمتار ، وينبعث منه ذلك الضوء الأبيض المبهر ..
وبحركة غريزية ، مدفوعة بعامل الخوف والرهبة ، رفع الجنود أسلحتهم ، وراحوا يطلقون النار على الكرة ، التى لم يبد عليها أدنى اهتمام بما يفعلون ، كما لو أن هذه الرصاصات لم تنجح حتى فى خدشها ..

وهتف الضابط فى توتر :

ـ ماذا يريدون ؟

أجابه (خالد) :

ـ لست أدرى .. ولكنهم لن يغامروا بكشف موقعهم بلا مبرر .

لم يكد يتم قوله ، حتى انطلق من أسفل الكرة شعاع وردى ، على هيئة أنبوب شفاف ، انزلق عبره جسم أسطوانى صغير ، أشبه بشخص آلى بدائى ، يطابق ما وصفته (هبة) ..

قدمان صغيران ، وذراعان صغيران ، ورأس به عينان خضراوان ..

وكان هذا الشخص الآلى ينزل متجهًا نحو (هبة) ، فصرخ والدها :

ـ لا .. ليس (هبة) .

حاول أن يندفع نحو ابنته ، ولكنه ارتطم بالشعاع الوردى ، الذى بدا له أشدّ صلابة من الفولاذ ، على الرغم من رقته وشفافيته ، فراح يدق عليه بقبضتيه فى عنف ، ويصرخ :

ـ اترك (هبة) .. اترك (هبة) أيها الوغد .

ولكن الآلى توقف أمام الصغيرة تمامًا ، ثم ارتفع من رأسه شىء يشبه هوائى اللاسلكى ، ولكنه انحنى ، واتجه نحو رأس (هبة) مباشرة :

وفجأة ، فقد الأنبوب الوردى شفافيته ، وأخفى الآلى وجسد (هبة) تمامًا ..

وهنا أصيب (خالد) بالجنون ، وراح يضرب الأنبوب بقدميه وقبضتيه ، وهو يصرخ :

ـ اتركوها .. اتركوا ابنتى .

أمسك به الضابط فى قوة ، ليبعده عن الأنبوب ، وهو يهتف :

ـ حذار يا رجل ، ربما كان ما تفعله ضارًا بابنتك .

قاومه (خالد) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ اتركنى .. قلت لك اتركنى .

ومع آخر حروف هتافه ، اختفى الأنبوب بغتة ، ولم يعد هناك أثر للشخص الآلى ، فاتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وغمغم الضابط :

ـ أين ذهب ؟

امتزجت غمغمته بصليل مكتوم ، جعله يلتفت فى دهشة إلى سيارته ، وارتفع حاجباه إلى أعلى ، عندما رأى الكرة الحمراء تغادر صندوقها ، وتسبح فى الهواء فى بطء ، متجهة نحو (هبة) ، حيث توقفت فوق رأسها تمامًا ، ثم راحت تتألق وتتألق ، قبل أن تبتعد عنها ، وتفقد بريقها كله دفعة واحدة ، ثم تسقط على الرمال كالحجر ..

وهنا بدأ ضوء الجسم المستدير يخفت ، وبدا وكأنه يرتفع أكثر وأكثر ، فهتف الضابط :

ـ إنه يهرب مرة أخرى .

نظر إليه أحد الجنود فى دهشة ، وغمغم :

ـ يهرب ؟!.. وممن يهرب يا سيادة الضابط ؟

وقبل أن يجيبه الضابط ، أو حتى يفكّر فى البحث عن جواب ، حلقت مقاتلتان من طراز (ف ـ ١٥) فوق الجسم المستدير ، فصاح الضابط :

ـ لقد التقطته أجهزة الرادار .. سيهاجمونه حتمًا .

ولكن ذلك الجسم المستدير انطلق إلى أعلى بغتة ، بصوت أشبه بالفرقعة المكتومة ، وبسرعة مذهلة ، أثارت عاصفة من الرمال ..

ثم انطلقت المقاتلتان خلفه ، واختفى الجميع فى السماء ..

وبينما العيون كلها تتطلع مبهورة إلى حيث اختفى الجسم المستدير ، كان (خالد) يضمّ جسد ابنته إلى صدره ، وهو يبكى فى حرارة ، متمتمًا :

ـ ماذا فعلوا بك يا صغيرتى ؟.. ماذا فعلوا بك يا قرّة عينى ؟

اقترب منه الضابط فى عطف مشفق ، ووضع يده فى رفق على كتفه ، وهو يهمس فى صوت حزين :

ـ لا ترهقها يا رجل .. دعها تستريح .

انهمرت دموع (خالد) فى غزارة ، تغرق وجه ابنته ، قبل أن يرقدها على الرمال فى رفق ، ثم يستدير إلى الضابط ، هاتفًا :

ـ أنت المسئول .. كلكم مسئولون عما أصابها ، ولو أصابها مكروه ، ستدفعون الثمن جميعًا .

أجابه الضابط فى حدة :

ـ أى قول أحمق هذا يا رجل ؟.. لقد كنا نؤدى واجبنا ، ولكن إصرارك على عدم التعاون معنا ، هو الذى تسبّب فى كل هذا ، ولو أنك أبلغتنا ما لديك منذ البداية ، لاختلف الموقف تمامًا .

صرخ (خالد) ، وهو يندفع نحوه :

ـ بل أنتم المسئولون .. أنتم الذين ...

وقبل أن يكمل عبارته ، أتاه صوت خافت يقول :

ـ أبى .

تسمّر فى مكانه ، ثم استدار يتطلّع فى دهشة إلى ابنته ، قبل أن يصرخ فى سعادة غامرة :

ـ (هبة) .. أنت بخير يا صغيرتى .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

واندفع نحو صغيرته ، التى ابتسمت فى براءة ، واحتواها بين ذراعيه فى فرحة هائلة ، وهو يشعر أن كل الدنيا لم تعد تعنيه ، فهى الآن بين ذراعيه ..

وخلف ظهره ، كانت هناك ظاهرة عجيبة ، لم ينتبه إليها ..

كان هناك فريق كامل من فرق البحث المحترفة ، تنهمر من عينيه الدموع ..

الدموع الحارة ..

★ ★ ★

« من (القرش المقاتل) إلى القاعدة .. نحن خلف الهدف ، وسنطارده على ارتفاع كبير .. إنه يتجاوز السحب الآن ، هل يمكننا التعامل معه ؟.. » .

« من القاعدة إلى (القرش المقاتل) .. اكتف بالمطاردة فحسب ، ولا تتعامل مع الهدف الآن ، إلا لو حاول هو التعامل معك .. » .

« من (القرش المقاتل) إلى القاعدة .. نحن نخترق السحب خلف الهدف ، و ... رباه !.. ما هذا بالضبط ؟.. » .

أثارت تلك الصيحة الأخيرة موجة عنيفة من القلق والتوتر ، فى قاعدة المراقبة ، فتبادل الجميع نظرة سريعة ، قبل أن يختطف القائد مسماع جهاز الاتصال ، ويهتف :

ـ ماذا حدث أيها (القرش المقاتل) ؟.. ماذا وجدتما ؟

مضت لحظة من الصمت ، بدت للجميع أشبه بدهر كامل ، وكادت قلوبهم تتوقف ، قبل أن يأتيهم رد الطيار ، وهو يقول فى ذهول :

ـ إنه شىء لا يمكن وصفه .. شىء هائل رهيب .. لقد كنت أتصوّر أن هذا الجسم ضخم للغاية ، فنصف قطره يكاد يبلغ خمسة أو ستة أمتار ، ولكنه يبدو ككرة تنس طاولة صغيرة ، أمام هذا الشىء .

قال القائد فى توتر :

ـ صف لنا ما تراه جيدًا أيها (القرش المقاتل) .

أجابه الطيار مبهورًا :

ـ إنه شىء لا يمكنك أن ترى مثيلًا له قط .. ليست مجرّد سفينة فضاء ، ولكن مدينة كاملة تسبح بأعلى .. شىء فى حجم الهرم الأكبر ثلاث مرات على الأقل ، وقد دخل إليه ذلك الجسم المستدير ، عبر ممر طويل مضاء .. يا إلهى !.. كيف لم تلتقط أجهزتنا شيئًا بهذا الحجم ؟! أراهن على أن لديهم أجهزة مدهشة ، للشوشرة على الرادارات .

هتف به القائد :

ـ هل يمكنك أن تلتقط صورته ؟.. هل يمكنك هذا ؟

أجابه الطيار :

ـ ولكنه يتحرّك .. لقد بدأ يدور حول نفسه ، و ...

قاطعه فجأة دوى عجيب ، امتزج بفرقعة مكتومة ، فصاح القائد قلقًا :

ـ ماذا حدث يا رجل ؟.. هل أصابك مكروه ؟

أتاه صوت الطيار مفعمًا بالذهول ، وهو يجيب :

ـ كلّا ، ولكن تلك المدينة الطائرة انطلقت بسرعة مذهلة ، واختفت فى غياهب الفضاء فى لمح البصر .. إنه شىء عجيب .. شىء لا يصدَّق .

عاد القائد يتبادل نظرة متوترة مع الرجال ، فى قاعدة المراقبة ، ثم قال :

ـ من القاعدة إلى (القرش المقاتل) .. عد على الفور .. لقد انتهت المهمة .. أكرّر .. عد على الفور .

وعندما أنهى الاتصال ، كان وجهه يحمل تعبيرًا عجيبًا ، وتطل من عينيه نظرة لم يشاهدها رجاله من قبل ..

نظرة تحمل تساؤلًا واحدًا ..

هل انتهت المهمة بالفعل ؛ أم أن كل هذا مجرّد بداية ؟

هل اكتفى هؤلاء الغرباء بما حصلوا عليه من الأرض ، أم أنهم يخططون لعودة ثانية ؟!..

وهل ستكون نقطة هبوطهم ، فى تلك المرة القادمة ، هى (مصر) أيضًا ؟..

كل هذه الأسئلة وغيرها دارت فى ذهنه ، ولكنها لم تجد جوابًا .. أى جواب ..

★ ★ ★

الخميس أوّل أغسطس ..

صديقى العزيز محمد ..

بعد التحية ...

هذا رابع خطاب أرسله إليك ، منذ وصولى إلى هنا ، وهى فرصة طيبة لأن أرسله فور الانتهاء منه ؛ لأننى أكتبه لك فى (مديرية التحرير) ، التى نقوم بزيارة لها أنا و (هبة) ، لشراء بعض المستلزمات المطلوبة لمزرعتنا ، وكم أتمنى أن تنتهى من أوراقك ، حتى تلحق بنا ، وتصبح جارنا هنا ..

و (هبة) بخير والحمد لله ، وهى تشكرك كثيرًا على اللعبة التى أرسلتها ، وتتمنى رؤيتك فى القريب العاجل هنا ..

هل تعلم يا صديقى العزيز أن فكرتى عن المسئولين فى الجيش كانت سيئة للغاية ، ولكننى الآن أحمل إليهم الكثير من الاحترام والحب والتقدير ، بعد العناية الفائقة ، التى أحاطونى بها أنا و (هبة) ، فى أثناء تواجدنا معهم ..

لقد كنت أتصوّر أنهم سيستجوبون (هبة) فى حزم وصرامة ، ولكنهم كانوا فى غاية اللطف والرقة معها ، حتى أنها أحبتهم كثيرًا ، وقصّت عليهم كل ما لديها ، وسجلته معهم على شرائط (فيديو) ، بالصوت والصورة ، ثم أعطوها الكثير من الهدايا واللعب ، واعتذروا لنا عن أية متاعب يمكن أن يكونوا قد تسببوا لنا فيها ، وأهدونى سيارة (جيب) جديدة ، من إنتاج المصانع الحربية ..

أما عن شفاء (هبة) العجيب ، الذى رويته لك فى خطابى الثانى ، فمازال يثير حيرتهم حتى الآن ، إذ أنهم لم يعثروا فى جسدها على أية إصابات ، كما لو أن قوة مجهولة قد شفتها تمامًا ، أما عن تلك

الكرة ، فبعد أن فقدت بريقها ، أصبحت مجرّد قطعة من البلاستيك ، أو من مادة شبيهة به ، ولكنهم احتفظوا بها ، ولم يعيدوها إلينا ..

وليست هذه هى وحدها الأخبار العجيبة يا صديقى العزيز ، بل هناك خبر أكثر غرابة ، فقد قمت بحرث الأرض ، ونثرت فيها البذور ، ثم رويتها بمياه البئر ، فهل تعلم ماذا حدث ؟!

لقد فوجئت بها تنمو ، وتخرج براعم قوية ، قبل مرور أسبوع واحد ..

هل تصدّق هذا ؟

هل يمكنك أن تتصوّره ؟..

هل قرأته فى أى كتاب فى حياتك كلها ؟

والعجيب أن هذا لا يحدث فى المنطقة كلها ، ولكن فى أرضى وحدها ، وحتى حدودها بالضبط ..

هل تعتقد أن الغرباء هم المسئولون عن هذا أيضًا ؟

أنا أعتقد هذا يا صديقى ؟

بل أومن به أشد الإيمان .

لقد شاهدنا أيامًا عصيبة هنا ، ولكن كل شىء انتهى فىْ سلام ، ومن حسن الحظ أن الأطفال لا يحتفظون بالكثير من الذكريات طويلًا ..

صحيح أن (هبة) تتحدّث فى بعض الأحيان عن الأقزام السبعة ، وتتذكّر هديتهم ، ولكنها سُرعان ما تنسى هذا ، وتنهمك فى اللعب مع (ميكى) ، الذى أصبح أكثر قوة ونشاطًا عن ذى قبل ..

أما أنا ، فلن أنسى أبدًا هؤلاء الضيوف ، الذين قدموا من الفضاء ..

ولا تجعل كلمة الضيوف هذه تدهشك ، فأنا مقتنع تمامًا بأنهم ما جاءوا من أجل الشر ، ففارق التقدم المدهش بيننا وبينهم ، كان يسمح لهم بتدميرنا تمامًا لو أرادوا ، قبل أن نجد الفرصة حتى لاستيعاب ما يفعلونه ..

صدقنى يا صديقى العزيز .. لقد راجعت كل ما فعلوه أكثر من مرة ، فى ليالى المزرعة الطويلة ، وتوصلت فى النهاية إلى حقيقة واحدة ..

هذا الضيف الذى أتى إلينا ، من وراء النجوم ، لم يفعل كل ما فعل ، إلا لأنه جاء من أجل هدف واحد ..

السلام ..

السلام وحده ..

صديقك

(خالد)

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

حلول اختبر معلوماتك

١ ـ التبريزى .
٢ ـ الميكروسكوب .
٣ ـ باجاتينى .
٤ ـ الضبع .
٥ ـ أوليمبوس .
٦ ـ محمد عبده .
٧ ـ المنجنيق .
٨ ـ الصهر .
٩ ـ بوريس باسترناك .
١٠ ـ الذهب .
١١ ـ إيجة .
١٢ ـ رحلات جاليفر .
١٣ ـ عبدالعزيز البشرى .
١٤ ـ المساحة .
١٥ ـ القرحة .
١٦ ـ يوجين أونيل .
١٧ ـ الفول .
١٨ ـ ابن طفيل .
١٩ ـ بالرمو .
٢٠ ـ الأنثروبولوجيا .

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

- كنت هناك (قصة قصيرة).... ٥
- اختبر معلوماتك ١٦

عملية صقر

عملية صقر (الجزء الرابع والأخير) ٢٣

- المرأة مشكلة..صنعها الرجل (دراسة) ٨٣

قصة العدد

ضيف النجوم ٩٧

- حلول اختبر معلوماتك ١٨٩
- عزيزى القارئ ١٩٠

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم